الباب الحادى عشر

حقائق القوة

الفصل الأول

بناء الإنسان القوى الأمين

إن الإنسان هو جوهر القوة فى العالم - خاصة عالمنا الثالث - المحتاج إلى عقل وفكر ودين ، ويشعر بالعدل والمساواة فى الحقوق والواجبات وله حقوقه السياسية ، ويشعر بأن حرياته الأربع ليست عليها قيود ، تحد من أفكاره وانطلاقه وقدراته الكامنة . وفى الحقيقة أن الإنسان يعانى كثيرًا فى العالم العربى ، فالحقوق الأساسية للإنسان معروفة . ولكن الحروب الأهلية والصراعات القبليةوالدينية وأعمال العنف والمنازعات الداخلية بين بعضهم البعض ، تضيع فيها حقوق الإنسان الأساسية ، وبالتالى حقوقه الأربعة الشخصية . ويوجد فى سجون العالم العربى عشرات الآلاف ، ممن حرموا الحق فى المحاكمة العادلة ، ومعظم المحاكم فى العالم العربى محاكم استثنائية وحرياته الأربع مقيدة ، وهى :

- حرية الدين والعقيدة .
- حرية الرأى .
- حرية الحق فى تنظيم الجمعيات .
- حرية الحق فى الممارسة الديموقراطية .

فكيف يمكن بناء عقيدة الإيمان بالوطن والدفاع عنه والموت فى سبيله ، والإنسان العربى الذى يقوم عليه بناء قوة الوطن لا يملك حقوقه !! ومن قلب وعقل الإنسان يجب أن تبدأ الأمم فى بناء قدرتها وقوتها الذاتية ، باقتناع الإنسان بعد تأمين حقوقه الأساسية وحرياته الأربع ، بالوقوف بقوة وثبات وبعقيدة صامدة ، لبناء القوى وحسن استخدام رباط الخيل . . .

وحسب تجاربنا الشخصية - خاصة فى الحياة العسكرية الطويلة ، وفى أوقات الحروب الكثيرة ، التى عشناها منذ الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٣٩ إلى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وما بعدها من حروب حتى يومنا هذا - وحسب خبرة التعامل مع المواطن العربى عامة

والمصرى ، خاصة فى أحلك أوقات الحياة شدة ، وأوفرها حبًا للذات والنفس - نضع خطوطًا صادقة لأسلوب معاملة الإنسان ، بدءا بمرحلة الطفولة والشباب إلى مرحلة النضوج العسكرى والعقلى والجسدى . وكانت أولى الخطوات هى محاولة الوصول إلى العقل والقلب بكل الطرق الصريحة الأمينة ، حتى نصل به إلى مرحلة الاقتناع الحق ، وهنا يكتمل النمو لتقبل الوفاء والتضحية بقوة وأمانة وصدق .

وأولى حلقات هذا الصراع مع القلب والعقل ، هى حل مشاكل الإنسان وإعطاؤه حقوقه الأساسية ، وإزالة الرهبة والخوف . وأحسن مدخل لكل هذا هو مدخل الفطرة الإيمانية الكامنة فى عقول وقلوب الأطفال نغذيها ، ثم نتعهدها ونرعاها حتى تتفتح على نور الله ، فيعيش أطفالنا تحت ظلال الإيمان ، التى تحميهم من نار الكفر والشرك والوثنية ، وتهديهم إلى طريق الله ، حيث عالم الطهارة ومجال الرحمة واليقين ، ثم الاقتراب السليم إلى الله . ثم تبدأ أشعة الإيمان تتسلل بهدوء وتدفّق إلى عقول الشباب ، تعطيهم وقود القدرة والصمود الإيمانى العميق ، حتى يقفوا بصلابة وإصرار ضد تيارات الانحراف والشك والغواية . . . .

فإذا حصلنا على هذه الفئة الطيِّبة من الشباب القوى الأمين ، استطعنا أن نُعِد بهذه السواعد القوية القوى إعدادًا قادرًا متكاملاً مستمرًا .

ظلال الإيمان فى قلوب الأطفال :

الله الله حي لا يموت . . . الله الله موجود فى كل مكان ، ويدور الشيخ المعلم ذهابًا وإيابًا وسط تلاميذه الصغار ، مرددًا الله الله موجود فى كل مكان ، وتدور أبصار الصغار ورؤوسهم مع المعلم متلهفين لرؤية الله . . أين هو . . إنه فى كل مكان . . ونحن لانراه ، ولكنه يرانا . . وهكذا تعلَّق الأطفال الصغار بالله سبحانه وتعالى ، ونفذ نور اليقين إلى قلوبهم ، وترعرع الإيمان فى وجدانهم ، ونما معهم عامًا بعد عام .

وفى نطاق الأسرة . . ارتوى الصغار بصوت يسرى فى القلوب الله اكبر الله اكبر ، يسمعونه خمس مرات فى اليوم الواحد كنداء للصلاة المفروضة ، وأحس الأطفال بمساعدة الفقراء والمساكين وأبناء السبيل بالزكاة والرحمات والصدقات ، وذاقوا حلاوة الصيام فى شهر رمضان الكريم ، ثم الإفطار ضمن أفراد الأسرة والأقارب بعد دوى مدفع الإفطار ، ونداء الله أكبر الله أكبر ، وحاولوا الصيام يومًا أو يومين ، وربما ساعات قليلة من نهار يوم

الصيام ، وصبروا على عدم تناول الطعام طول اليوم ، رغم أن الصيام ليس مفروضًا عليهم لصغر سنّهم إلاّ أن الإفطار مع العائلة يرسّخ رباط الأسرة المقدس ، وسمعوا زغاريد النساء تودع بالحب حجاج بيت الله الحرام ، وتستقبلهم بالترحاب والفرح والفخر ، ولم ينس أطفال العشرينيات رؤية هلال رمضان ، والطابور العسكرى الرائع بالموسيقى العسكرية لتوديع الكسوة الشريفة المهداة من مصر إلى بيت الله الحرام فى مكة ، كما كانت نغمات النشيد الإلهى تشدهم إلى حبل الله المتين وسنّة رسوله الكريم « لا إله الا الله محمدًا رسول الله » ، ثم نغمات الحب الإلهى بالصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

وهكذا . . وضع الله سبحانه وتعالى حجر الأساس الإيمانى فى قلوب الأطفال الصغار القلوب الفتية النقية ، كركيزة للقوة والأمانة فى دنيا الطفولة الأولى ، تنمو معهم حتى الشيخوخة .

ومع نسمات الطفولة الأولى . . شعر الأطفال بحب مصر العزيزة ، وكانوا ينشدون لها أغانى الحب الجميلة « مصر العزيزة لى وطن ، وهى الحمى وهى السكن ، وهى الفريدة فى الزمن » .

« إسلمى يا مصر إننى الفداء . . » .

ونمى حب الوطن فى قلوب الأطفال مع حب الأسرة والعائلة . وفى مجلس العائلة الصغير يجتمع الأطفال فى فرح مع الجد والأب والعم والخال ، يستمعون بشوق إلى قصص وحكاوى الوطنية الصادقة ، التى تحارب الاستعمار باللسان والقلم والسلاح ، وبطولات القادة والزعماء العظام ، وقصص الشجاعة والإقدام مع القوة والأمانة وحب الخير ، فارتوت طفولتهم بمزيج من العلم والمعرفة بالدين والحياة والوطن ، والحقد للعدو المستعمر الغاصب لأرض العرب عامة وأرض مصر خاصة ، فامتلأت القلوب حقدًا ضد الاستعمار عامة وضد الإنجليز خاصة ؛ حيث كانوا يتسكعون فى الشوارع والحوارى والطرقات سكارى مخمورين ثم يزداد الحقد ضرامًا عندما يشاهدونهم فى ثكناتهم العسكرية وفى مواقع حراساتهم مدججين بالسلاح ، وكان سلاح أطفال مصر الدعاء إلى الله « يا عزيز يا عزيز كُبَّة تاخذ الإنجليز » .

وفى المدارس الابتدائية . . تعلم الأطفال مبادئ النظام والانضباط والطاعة ورياضة العقل والبدن ، مع المعرفة بلغة المستعمر الغاصب وبعض عاداته وتقاليده ، حتى رقصاته

الأسكتلندية بالسيوف ، كانوا يتدربون عليها ويرقصونها تحت إشراف المدربين منهم . ورغم هذا فقد استمر الحقد الدفين فى القلب والنفس ، ووصل إلى العقل ويسأل : لماذا يجثم هؤلاء الدخلاء على صدورنا !! .

وعندما كانت الطبيعة تغضب وتهب الرياح مثيرة للأتربة أو الأمطار الغزيرة - بصحبة أصوات الرعد العنيفة وومضات البرق الخاطفة - كانت القلوب تهرع إلى الله سبحانه وتعالى ، قائلة : يارب .... وعندما زلزلت الأرض زلزالها وحاولت إخراج أثقالها ، قال الأطفال مع الناس : « ما لها يارب » ، وتلهفوا إلى رحمة الله رافعين أكفّهم الغضّة إلى السماء ، سائلين الله سبحانه وتعالى اللطف والرحمة والنجدة ، فكانت نداءاتهم إلى الله قوية صادرة من الأعماق : يارب .... يارب ... وبحثوا فى الفضاء عن حبال الله القوية ، يتمسكون بها خوفًا وهلعًا ليحصلوا على السكينة والاطمئنان ، ويرددون آيات القرآن الكريم ؛ خاصة آية الكرسى التى تنادى الله الحى القيوم سبحانه وتعالى ، ويبحثون عن مظلة الإيمان ليستظلوا بظلها .

وهكذا .. تعلّق الأطفال فى سنوات العمر الأولى بالله سبحانه وتعالى ، ودائما مايحاولون البحث عن ظل من ظلال الإيمان ، يقفون تحته آمنين .

وكان التعليم فى المدارس الأولية والابتدائية تعليمًا متكاملاً ، يغذى العقل والقلب والجسم بنور كتاب الله الكريم وأصول الدين القيِّم الحنيف إجباريًا ، ولكن برغبة فطرية فى نفوس الأطفال يحفظون القرآن ؛ وقصار السور خاصة ، يتفهمون مضمونها ، ويعرفون سنة رسولنا الكريم ، ويحرصون على اتباعه كقدوة حسنة للخلق العظيم . وبجانب هذا .. كانت الرياضة الجسمانية تقوّم الجسد ، وتصلح الأبدان ، وتغذى النفوس .. إنها مازالت رابضة فى قلوبنا وعقولنا ووجداننا ونقول : والله زمان .

واصطحب الآباء أبناءهم إلى مساجد الله وشاهدوا القبلة ، وسألوا عنها لماذا .. وجذب أنظارهم منبر الخطيب ، وكرسى الواعظ وفخامة السجاجيد وتلألؤ الأنوار ، وانتظام المصلين فى صفوف متراصة للصلاة من ركوع وسجود وقيام ، فشعروا بحلاوة الانضباط وجلال صلاة الجماعة وطلاوة صوت قارئ القرآن .. إنها ذخائر إيمانية سكنت القلوب ، وصارت فاتحة الطريق للخير والنور وتعلم الأطفال فى المدارس الابتدائية الحكومية أدب الطعام ، وأسلوب الجلوس للطعام ، وطريقة تناوله ، وتقاليد استخدام أدوات الطعام وبدأوا

الطعام باسم الله وختموه بالحمد لله . . . هذه تقاليد رسخت فى القلب والعقل ، مع رسوخ أشعة الإيمان وتنسّم عبير الخير والنور .

اشعة الإيمان فى عقوب الشباب :

ولمّا اجتاز الأطفال سنوات الطفولة الأولى إلى عتبات المراهقة وأطوار الشباب . . تحولت كل المعانى السابقة إلى سلوك إيمانى ووطنى . . سلوك كريم ينير الطريق إلى أعماق الإيمان وطريق الوطنية الصادق ، مع ازدياد الشعور بالحقد ضد العدو المستعمر الغاصب . وتحول هذا الشعور فى الثلاثينيات إلى مظاهرات شبابية ، تهتف فيها بالحرية ولمصر بالحياة وللعدو الإنجليزى المستعمر بالرحيل أو الموت . وذاق شباب هذه الفترة ضربات نبابيت رجال البوليس المصرى ، المؤتمرين بأوامر ضباطهم من الإنجليز والتابعين لهم ، كما استشهد عدد من الشباب برصاص المستعمر ، وهم يهتفون لمصر بالحياة وللمستعمر بالموت .

واندلعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وهذا الشباب الحر الكريم يطرق أبواب الجامعات والمعاهد العليا والمدارس العسكرية ، أو ينخرط فى سلك الجندية إذا لم يكن أهله قادرين على دفع البدل المادى للجندية . ويسير كل فى الطريق المرسوم له بإرادة الله سبحانه وتعالى ، ويأمل كل فرد أن يجد مكانًا يستظل فيه بمظلة الإيمان ، ويهديه الله إلى طريق النور والخير .

وفى القطاع العسكرى . . عاش الشباب الذى التحق بالمدارس العسكرية فى هذه الفترة فى خنادق الوقاية من قنابل الطليان ، ثم من قصفات قنابل الطائرات الالمانية الضخمة ، وقضوا معظم لياليهم فى هذه الخنادق ، يذكرون الله سبحانه وتعالى ، ويحاولون الاقتراب من الله بالذكر والصلاة ، ويتلهفون على ظل من الإيمان وخيوط من رحمة الله ، يمسكوا بها لتطمئن نفوسهم ويهدأ بالهم . وعندما حان وقت المسئولية فرحوا بالنجمة الصفراء على الكتف ، وبالسيف المدلى إلى الجنب ، وكان القتال على أرض مصر فى صحرائها الغربية يحتدم بشدة بين قوات المحور الإيطالى / الألمانى وقوات الحلفاء الإنجليز ، ومن يتبعهم من أستراليين وهنود ويهود ، وغيرهم من رجال مستعمرات العالم الثالث . ولم يكن للجيش المصرى دور رئيسى فى هذه الحرب ، إلا فى الدفاع الساحلى وأعمال الدفاع الجوى بالمدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الأنوار الكاشفة لحماية معسكرات وتجمعات الحلفاء فى القاهرة والاسكندرية ، مع تكليف بعض وحدات من الجيش المصرى بأعمال الحراسة والدفاع الخارجى لبعض مناطق الحلفاء المهمة فى مصر . . .

ولم ترحم قنابل الألمان تجمعات الأهالى« فى المدن الكبرى » ؛ خاصة القاهرة والاسكندرية ، وكان نصيب أحياء الإسكندرية المزدحمة بالسكان كبيرًا من ضربات القنابل الثقيلة المدمرة ، وازدادت الغارات الجوية حدة وقوة باقتراب قوات الماريشال روميل من الإسكندرية ، تمهد لجيوش الألمان الطريق إلى دلتا مصر وتضرب بشدة وقسوة . ولكن مظلة الإيمان منعت كثيرًا من هذه القنابل الثقيلة من الإنفجار وتدمير الآمنين فى بيوتهم ، أو العاملين فى مصانعهم . وقصص قدرة الله كثيرة ، وبركة أوليائه الصالحين كانت ملموسة فى وبجوار مسجد المرسى أبو العباس أو مسجد أبى الدرداء ، حيث استقرت القنابل الثقيلة فى الأرض ولم تنفجر ، وشاعت أخبار قدرة الله التى أظل بها أوليائه الصالحين و، التف الأهالى حول مساجد الرحمن يطلبون الأمن والأمان ، تحت مظلة الإيمان بقدرة الله سبحانه وتعالى .

وهكذا . . واجهت مصر قنابل الطليان والألمان بالتطلع إلى قدرة الله ، فاقترب الناس أكثر من الله ، وسجدوا له ، وذكروه بكرة وأصيلاً .

وانتهت الحرب العالمية الثانية فى صيف ١٩٤٥ ، وانتصر الحلفاء ، وزادت قوة الاستعمار البريطانى وغيره رسوخًا فى قلب العالم العربى عامة ومصر خاصة ، وسارت مصر رغم أنفها فى ركب الحلفاء عامة والإنجليز خاصة !! ولقد تركت الجيوش التى قاتلت على رمال الصحراء الغربية آلافا من القتلى ، من مختلف الجنسيات والألوان والأديان ، ودفنوا فى مقابر قتلى الحرب على أرض مصر ، فى مناطق مختلفة بالصحراء الغربية ، وفى قلب القاهرة أيضًا . وتدور الأيام ويأتى ذوو قرباهم لزيارتهم كل عام تقريبًا ، ويلتقى الأحفاد وأحفاد الأحفاد على أرض مصر ، فى زيارة سريعة لمقابر الأجداد ، ضحايا الحروب الوحشية .

كما تركت الجيوش خلفها مخلفات لا حصر لها ، وأخطرها ملايين الألغام المضادة للأفراد والمضادة للدبابات والعربات والمصفحات ، التى تحكى للأجيال قصص الرعب والموت والدمار . وللأسف . . فإنها مازالت مدفونة فى رمال الصحراء ، حول المسالك الرئيسية والطرق المهمة والمدقات عبر هذه الصحراء المتسعة ، وكذا حول الأماكن الحيوية الحاكمة التى اتخذتها الجيوش أثناء الحرب العالمية الثانية ميدانًا للدفاع والانطلاق . ومازالت هذه الألغام غير معروف أماكنها بالضبط ، حيث قامت العوامل الجوية وعوامل التعرية وتحركات الرمال بإجراء حركة تنقلات لهذه الألغام ، بعثرتها هنا وهناك . وقد بذلت

مصر - خاصة رجال المهندسين العسكريين - جهدًا كبيرًا فى نسف أعداد ضخمة منها ، أو تأمين بعضها ، وضاعت أرواح كثيرة فى هذا الجهد العظيم ، سواء من الجنود أو الأعراب الآمنين الساعين إلى لقمة العيش هنا وهناك ، وحتى من يسير على أرض الصحراء الغربية من السياح والكشافة والعمال ، لم يسلموا شر انفجارات الألغام ، وكذا كثير من القنابل والدانات التى لم تنفجر منذ عام ١٩٤٢ حتى لحظة معينة ، ووقت معين بعد عشرات السنين عندما تجد لها صيدًا عابرًا بريئًا . ورغم هذه الألغام والدانات والقنابل وخطورتها إلا أنها مكتوبة لإنسان معين - حسب قضاء الله سبحانه وتعالى - إلا من أظله الله بظلال الإيمان ورحمته وحفظه .

بناء المقاتلين تحت مظلة الإيمان :

تقديم :

أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم ..

أن أكون جنديًا وفيًا لجمهورية مصر العربية مخلصًا لرئيس الجمهورية ، مؤمنًا بنظامها الاشتراكى، محافظًا على أمنها وسلامتها ، حاميًا ومدافعًا عنها فى البر والبحر والجو داخل وخارج الجمهورية ، مطيعًا للأوامر العسكرية ، منفذًا لأوامر رؤسائى ، ومحافظًا على سلاحى ، لا أتركه قط حتى أذوق الموت والله على ما أقول شهيد .

هذا هو يمين الولاء يردده المقاتل ويشهد الله على ما يقول ، قبل أن يعهد إليه بالمهام التى يكلف بها عند انخراطه فى صفوف القوات المسلحة لأول مرة ، فالقتال سلاح وعقيدة وإذا كان من الممكن إحصاء السلاح بين طرفين متنازعين ، لكى نعرف أيهما يتفوق على الآخر . . فإن قياس العقيدة وحسابها بالغ الصعوبة ؛ لأنه يختلف من فرد إلى آخر ، ومن طائفة إلى أخرى .

إن العقيدة الدينية هى إحدى العوامل الرئيسية لتحقيق النصر ، فهى التى تضئ لنا الطريق ، وهى التى تبعث السكينة فى النفوس ، حتى عندما تتزلزل الأرض من حولنا بقنابل العدو ، وهى التى تثبت أقدامنا ، وهى التى تبشرنا بالنصر ، وهى التى تعد من يستشهد منا بجنات عرضها السماوات والأرض .

إن القيم الروحية والمثل العليا النابعة من عقيدتنا الدينية ، تعتبر الأساس المتين للحصول على النصر فى المعركة . ومن هذه العقيدة . . يمكن أن نستخلص خير المناهج

لإعداد المقاتل الكفء ، والعلم هو أساس القوة والرقى . وتعتبر المعرفة رأس مال المقاتل ، كما قرر الإسلام الحرية والكرامة الإنسانية ، ومقاومة العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين ؛ فقرر مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض ؛ فنفس الإنسان فى الإسلام معصومة ، لا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها ، وكذلك مال الإنسان معصوم لا يؤخذ منه شئ إلا بحقه ، وكذلك عرض الإنسان لا يهان ولا يخدش ، وحديث رسول الله ﷺ يقول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه ومال وعرضه » .

كما قرر الإسلام مبدأ الحرية فى العبادة والاتصال بالله ، فليست هناك وساطة بين الله وعباده ، ولا يتوقف اتصال الله تعالى بعبد من عباده على وساطة أحد ، بل الله سميع بصير ، يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، ويعلم السر والنجوى ، وبابه الكريم مفتوح لكل لاجئ ولكل طالب ، ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة ١٨٦]

وقرر الإسلام أيضًا التحرر من أسباب الخوف ، فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة ، لا ينالهم هم ولا خوف ، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة ٣٨]

وكذلك حث الإسلام على جهاد النفس للنزعات السيئة والنقائص المعوقة كالغرور وحب الظهور ، وكل ما يفسد القلب ويصيب النفس من أمراض ، وما أكثرها من طمع وحقد وحسد وبغض . وأشار الرسول القائد ﷺ إلى أهمية هذا السلاح فى النصر واجتذاب مدد السماء ، فقال : « لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . » فسأله الصحابة : « وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ » قال : « جهاد النفس » . . . جهاد النفس للأمراض الخلقية والاجتماعية ، ولوساوس الشيطان ، وللشهوات والمغريات ، والكسل والفتور والضعف والابتذال .

ويشعر المقاتل المؤمن بمظلة الإيمان ، تحميه بقدرة الله سبحانه وتعالى ، وترعاه وتستره ، وترد عنه مصائب الدنيا وعثرات الحياة وقسوتها . وهنا فى هذا البحث نذكر بالحب والاحترام قصص الإيمان الحقيقية ، التى شعر بحلاوتها كل المقاتلين الذين استظلوا بمظلة الإيمان فى كل حروب مصر المعاصرة ، منذ الحرب العالمية الثانية - فيما بين أعوام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ - وحرب فلسطين فى أول جولة قتال بين العرب واليهود ما بين أعوام ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ، وفى أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ ، وحتى فى أيام نكسة ١٩٦٧ ، وخلال سنوات حرب الاستنزاف والإرهاق التى استمرت حوالى ٣

سنوات ، وأثناء مساندة ثورة اليمن ما بين أعوام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٧ ، وفى سنوات الحسم والإعداد لحرب رمضان المجيد ، ثم خلال تلك الحرب وأثناء القتال فى ثغرة الاختراق الإسرائيلى، غربًا فى الدفرزوار، مع قصص واقعية أثناء حرب الخليج، وحرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ ، وفى حياة المقاتلين إلى يومنا هذا ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [سورة الحشر ٢]

بناء العقيدة الايمانية الصادقة

كانت تجربة هزيمة ١٩٦٧ نقلة إيمانية صادقة إلى طريق الله ، وكان لابد من بناء العقيدة الإيمانية الصادقة على أساس سليم ، بمحاولة الوصول إلى عقل وقلب الجنود ، حتى يتحقق بناء العقيدة الإيمانية الصادقة . ولكن كيف ؟ والمسافة طويلة ما بين الضابط والجندى المصرى ، ويصعب اختصار هذه الفجوة . والمشكلة أيضًا هى أن السبب الرئيسى هو الطعام ، وعلى حد قول نابليون : « الجيوش تمشى على بطونها !! » ولقد خرجت إسرائيل بنتائج كثيرة من عدة أبحاث أجرتها أجهزتها المتخصصة على الأسرى المصريين من مختلف الرتب والتخصصات والأسلحة والوحدات ، وبالطبع من مختلف محافظات مصر ، وأظهرت النتائج مشكلة كبرى ، لم تتنبه لها القيادة المصرية بعد عام ١٩٥٦ أو بعد عام ١٩٦٧ . ولم ننجح نحن القادة كل النجاح للتغلب عليها ، ولكنى حاولت - وحاول معى معظم القادة العمل - على أن نقلل المسافة بين الضباط والجندى إلى أن نمحوها تمامًا .

فالمساواة فى التضحية - بغض النظر عن الرتبة - من بين المبادئ الأساسية التى يبنى عليها الجيش قوته الذاتية ، ويجب ألا يجعل القائد نفسه فى وضع أعلى من جنوده ، وعليه أن يكون واحدًا منهم ، يقودهم تحت إمرته فى طريق القيادة الطبيعى .

وكان مفتاح الحل هو المدخل الدينى إلى قلب وعقل الجندى ، والحقيقة أن مظلة الإيمان عندما يحتمى فى ظلها الجندى ، يجد نفسه مدفوعا إلى الرضا والاطمئنان ، ويدرك أهمية الرضا بما كتبه الله وأراده ، ويفهم أن على العسكريين - جنود أو قادة - أن يجعلوا جهادهم منزهًا عن الشوائب ؛ فقد ربطوا حياتهم ومماتهم بواجب مقدس ، تصغر إلى جانبه الألقاب والرتب والنياشين ، فليؤثروا ما عند الله وليوقفوا أمانيّهم على التضحية المرتقبة والفداء الغالى . هكذا دخلنا إلى عقل وقلب المقاتل بإزالة الرهبة من وجدانه ، وحاول القادة حل مشاكل الجنود بكل الطرق الممكنة والمتيسرة بصدق وصبر وحلم ، فتلهفت قلوب الرجال وعقولهم إلى الإخلاص العميق لله والوطن والقائد ، وهذا ما كنا نتوق إليه والحمد لله .

الفصل الثانى

القوة الاقتصادية

مرحلة الانتقال :

تمر مصر بمرحلة انتقال تشعرنا بأننا بصدد مواجهة غير مألوفة ؛ مما يتطلب مواجهتها بأعمال تختلف عما تعودنا القيام به ، والاستعداد لمواجهة الجديد من الظروف بالجديد من المواقف ؛ مما سيكون تأثيره كبيرًا على الاقتصاد المصرى ، وبالتالى على غيره من جوانب حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية . . إلخ .

وأهم التحولات المؤثرة على الاقتصاد المصرى ما يلى :

١- سقوط الأنظمة الشيوعية ، وتفكك الاتحاد السوفييتى ، واتجاهها جميعًا نحو نظام السوق .

٢- ظهور أوروبا الموحدة اقتصادياً منذ عام ١٩٩٢ .

٣- اشتداد المنافسة الاقتصادية بين أمريكا وأوروبا واليابان ، واحتمالات تحولها إلى صراع سياسى وربما عسكرى .

٤- تطورات أزمة الخليج ، وما حدث من مشاحنات بين الدول العربية بعضها البعض أو بينها وبين إسرائيل ، واحتمالات التطبيع الاقتصادى وغيره بين العرب وإسرائيل ، واحتمالات المشاركة فى استغلال موارد المنطقة خاصة المياه .

٥- تطور تطبيق مصر لتوصيات صندوق النقد الدولى إلى ما يسمى بالإصلاح الاقتصادى .

وبالطبع . . ستتأثر مصر نتيجة هذه التحولات بما يلى :

١- حجم ونوع ما تحصل عليه مصر من المعونات الخارجية ، وحجم الاستثمارات الأجنبية الخاصة .

٢- خفض الإنفاق على السلاح ، وتأثيره على الاقتصاد المصرى فى نواحٍ كثيرة ، مثل :

- إنفاق مصر على السلاح .
- حجم المعونات العسكرية المقدمة إلى مصر .
- حجم المعونات الاقتصادية .
- حجم المؤسسة العسكرية فى مصر ، ودورها فى الاقتصاد الوطنى .

والواقع أن أهم التحديات التى ستواجه الاقتصاد المصرى فى السنوات القادمة ، هى تلك المتصلة بإسرائيل وخططها فى التوسع الاقتصادى والسكانى . وقد تعاظمت فى الفترة الأخيرة هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل ، وانعكاسات ذلك على الاقتصاد الإسرائيلى ، ومتطلباته ، وأثره على الاقتصاد العربى عامة والمصرى خاصة .

ومشكلة المياه وكيف ستواجه مصر مشروعات إسرائيل لاستغلال الموارد المائية بالمنطقة ، ومدى تعارض ذلك مع الخطط المصرية للتوسع الزراعى .

ونحن فى هذا البحث نطرق الموضوع برفق ، وننظر إليه كحقيقة من حقائق القوة التى تؤثر على إعداد القوى العربية عامة والمصرية خاصة . وبالطبع تؤثر على النواحى العسكرية ، وهى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالاقتصاد ، بل وتتبعه وتعلو وتهبط قدراتها حسب قوة الاقتصاد أو ضعفه . .

ونحن أيضًا - هنا - نقرع الأجراس التى تنذر بالخطر ، إذا لم يحسم موضوع تدعيم الاقتصاد بكل حزم وقوة بالعلم والتقنية والإمكانيات . . فمثلاً وصلت صادرات إسرائيل إلى ٩ مليارات دولار ، أما مصر فصادراتها لم تتعد المليارين . ومن ثم يجب زيادة الإنتاج المصرى فى المرحلة الأولى ، والتركيز على التنمية البشرية فى التعليم ؛ لتعيش عصر ثورة المعلومات ، ويمنح المسئولون فى مصر هذا البلد الأمين قدرة التنمية الاقتصادية .

وينبغى زيادة التعاون والتكامل السياسى والاقتصادى والعسكرى مع أشقائنا العرب ، إذ لم يعد مفهوم الأمن القومى هو المفهوم العسكرى ؛ فقد أصبح مفهوم الأمن الحديث هو الذى يرتكز على العنصر الاقتصادى والسياسى ، ثم العنصر العسكرى . وكل ما يجرى من تحولات فى العالم فى السنوات الاخيرة يؤكد هذه الحقيقة ، فلابد من موقف عربى شامل

يواجه المتغيرات والتكتلات الضخمة **اقتصاديًا** أولاً ، ثم سياسيًا وعسكريًا بفكر تنموى عربى ، بواسطة الإنسان القادر حتى لا يضيع رأس المال الذى لا يجد طريقه للاستثمار فى العالم العربى ، حيث يستثمر ما يزيد عن ٦٥٠ مليار دولار امريكى فى العالم الخارجى !! وتحتاج خطط التنمية فى مصر لتحقيق من ٦ إلى ٧٪ معدل نمو ، إلى أن نستثمر ٢٥٪ من إنتاجنا الوطنى ، أى تحتاج إلى ٧ مليارات دينار عربى . ولو استغل هذا . . فسوف يحدث تغيير ضخم فى الدول العربية . والتجارة الآن بين العرب ، بعضهم البعض ضعيفة ، وقد مضى أكثر من ١٠ سنوات على فكرة السوق العربية المشتركة ، ولاتزال مجرد أمنية ! .

السوق الدولية :

عقدت فى عام ١٩٩٤ ، الدورة السابعة والعشرين لسوق القاهرة الدولى ، التى شاركت فيها ٤٣ دولة عربية وأجنبية وعرضت أكثر من ٢٠٠٠ شركة وطنية وأجنبية منتجاتها . ويعتبر هذا إلى حد ما نجاحًا لبرنامج الإصلاح الاقتصادى المصرى ، خاصة فى شقيه المالى والنقدى ، بما سيكون له أثر كبير فى زيادة معدلات الاستثمار ، وبالتالى فتح مجالات جديدة أمام توفير منتج على مستوى عال من الجودة ، وبأسعار تنافسية ؛ بحيث يكون قابلاً للتصدير . ويجب أن تكون الدولة جاهزة ومعاونة - بحق على - جذب المزيد من الاستثمارات وزيادة الصادرات ، وهذه تعتبر مهمة وطنية بالغة الأهمية .

كما يجب تحرير التجارة والخدمات بين الدول الأوربية عامة والعربية خاصة ، وبين الدول النامية حتى يمكن منح هذه الدول النامية بعض الحقوق لحماية إنتاجها فى فترة زمنية ، تستطيع خلالها تهيئة الظروف المناسبة للمنافسة مع منتجات مختلف الدول الأخرى.

الوحدات السياسية الجديدة :

رغم أن الوحدات السياسية لها اليد العليا فى تخطيط مسار التاريخ . . إلا أن الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير هو نقطة بداية من ناحية الجغرافيا الاقتصادية ؛ فالعالم العربى بمحوريه : الشرقى والغربى قد اتصلا الآن بعد أن انفصلا ، عندما زرعت إسرائيل فى قلب العالم العربى ، وقسمته إلى قسمين جغرافيين. والاتفاقية المنتظرة تمكن العالم العربى - بقسميه - من إعادة التكامل الجغرافى بواسطة الطرق البرية من شبكات طرق ومواصلات

واتصالات ، وبتوفير حرية حركة الافراد والسلع والمواد بين المحورين . ومهما كان شكل السلام القادم . . فإن هذا الاتصال نفسه هو الحقيقة الجغرافية الباقية .

الاقتصاد الإسرائيلى :

أهم نقاط الضعف فى الاقتصاد الإسرائيلى ، هى اعتماده على معونات ومنح خارجية . والسلام فى هذه الحالة يمثل خطراً حقيقيًا على الاقتصاد الإسرائيلى . وإستراتيجية إسرائيل واضحة بالطبع ، إذ ستبدأ بمحاولة التخلص من المقاطعة العربية ، ثم تستخدم فلسطين كجسر للعبور إلى أسواق وأموال وعمالة العالم العربى . وتعمل إسرائيل لتكون هونج كونج جديدة فى الشرق الأوسط !! وستكون هى الباب الخلفى لأموال واقتصاديات العالم العربى ، وستقود السوق الشرق أوسطية ، وتنشأ منطقة تجارة على المستوى العالمى كما فعلت سنغافورة .

الخلاصة :

يجب صياغة استراتيجية عربية للتعاون العربى من جهة ، ولمواجهة التحدى الإسرائيلى فى مرحلة السلام من جهة أخرى .

ويجب أن نعيد تقييم أسباب فشل التعاون بين العالم العربى ، قبل أن نخطط للتعاون الشرقى أوسطى ، فالحقيقة الجغرافية تدعو إلى إعادة الترابط بين المحور الغربى والمحور الشرقى للعالم العربى لأهمية التعاون الاقتصادى العربى ، معتمدين على الأسس التالية :

- التعاون الاقتصادى على أساس حافز الربح .
- الاعتماد على قواعد الاقتصاد عامة ، والجغرافية الاقتصادية خاصة .
- الاستفادة من محاولات التعاون الاقتصادى العربى ، رغم فشل معظمها . ولكن هناك محاولات ناجحة ، ويحسن أن ندرس أسباب الفشل وأسباب النجاح ، ونتحرك فى الطريق الصحيح .
- يجب ألا يعيش العرب على وهم التخوف من الاقتصاد الإسرائيلى ؛ فإن إسرائيل - فى حالة الحرب - تعتمد على أمريكا وأوروبا اقتصاديا ، وستعتمد فى حالة السلام . . على مهارة مواطنيها المعروفة والتعاون الإقليمى مع جيرانها .

الفصل الثالث

الأمن القومى العربى ومشكلات المياه العذبة

المياه أحد أسلحة المستقبل :

اكتظ العالم بالبشر حتى عانت بعض دوله من مشكلات الانفجار السكانى ، التى أوقفت مشاريع تنميتها ، وهبطت بمستويات معيشة أهلها ، بما هدَّد أمنها الوطنى ، وأضرَّ باستقرارها وازدهارها أبلغ الضرر .

وترتب على تضاعف تعداد المواطنين ببعض الدول ، أن صارت الموارد عاجزة عن توفير المطالب الأساسية للمعيشة ، وعلى رأسها القمح والنفط والمياه ، التى تعتبر عصب الحياة على كوكب الأرض ، والتى صرّح وزير الرى المصرى فى نهاية مارس ١٩٩٤ بأن مصر فقيرة مائيا ، بل وتحت خط الفقر .

وإذا كان القمح قد أصبح سلعة إستراتيجية تُلوى بها أعناق بعض الدول ، حتى ترضخ لمشيئة من يوفرة لها وتلتزم بسياسته .. فإن النفط قد أشعل عدَّة حروب فى قرننا الحالى ، مثلما سوف تشعلها المياة العذبة فى القرن المقبل ، الذى أكّد وزير الرى أيضاً أن مصر سوف تزداد فقرًا فى المياه خلاله . فنقص المياه عن حاجة بعض الدول ، أصبح ظاهرة فى عدَّة أجزاء من الكرة الأرضية ، حتى صار سبباً هامًا للأزمات فى المستقبل المنظور ، حتى يصبح معول هدم أمنها الوطنى ، والعامل الأول فى انعدام الاستقرار ، وتوقف التنمية والازدهار فيها .

ومن المناطق التى تحتل رأس القائمة - فى هذا المجال - منطقة الشرق الأوسط ، التى أضاف قيام دولة إسرائيل فى بؤرتها مشكلة المياه إلى مشاكلها الأخرى المزمنة ، وجعل منها حلبة جديدة للصراع على البقاء نتيجة إصرارها على التوسع ، وتوطين المزيد من المهاجرين ، والتطلُّع إلى الاستيلاء على مزيد من مصادر المياه العذبة فى أراضى الدول العربية المجاورة ؛ لتوفر لشعبها أسباب المعيشة ، بعد أن يتجاوز تعدادهم ٧ ملايين نسمة عام ٢٠١٠ .

فهذه المياه العذبة تشكّل مطلباً حيوياً فى حياة الناس ، وليس لها من مصدر سوى الأنهار والبحيرات العذبة ، والمياه الجوفية ، وما تجود به الأمطار ، ثم مشروعات تحلية مياه البحار والبحيرات المالحة ، التى يعيبها التكلفة الباهظة وقلّة الحصيلة ، وإنزال المطر من الغيوم بالتبريد ، وبمادة يوديد الفضة ، وأخيراً بإعادة استخدام مياه المجارى بعد تطهيرها وتعقيمها .

وتحت ظروف تغيّر المناخ ، واختلاف كثافة سقوط الأمطار على سطح الأرض ، وانتشار الجفاف مع زيادة السكان ، واستمرار الهجرة وازدهار الصناعة والزراعة . . ازداد الطلب على المياه العذبة ، حتى أصبح إحدى أدوات السياسة الخارجية بالنسبة للدول التى لا تجد كفايتها منها ، وسوقاً للعرض والطلب بين من يملك الفائض ، وبين من يحتاجه.

المياه فى الفكر الصهيونى:

لقد احتلّت مشكلة المياه مكاناً بارزاً فى الفكر الصهيونى ، منذ بداية التخطيط للوطن القومى اليهودى فى نهاية القرن التاسع عشر ، وربما قبل ذلك . وكان للمياه صلة مباشرة بحدوده المنشودة ، وبالهجرة اليهودية إليه ، وبالتوسعات الديموغرافية فيه منذ قيام الدولة فى منتصف القرن العشرين ، وبعد ذلك .

ولم يكن غزو إسرائيل المتكرر للبنان لمجرد تصفية وجود الفدائيين الفلسطينين فى قسمه الجنوبى ، كما زعمت بل كان لتحقيق أطماع أرضية ، وتحقيق موارد مائية ، أصبحت خطط الهجرة فى أمس الحاجة إليها لتأمين استمرارها .

فهناك حقيقة تاريخية تؤكد على أن مناطق الحدود ، ذات صفة قابلة للتمدد والانكماش والتشكيل والتعديل المستمر ، حيث يتمكّن الجانب الأقوى من فرض بصماته عليها . وهى تبدو كشرائح أرضية نموذجية لتضخيم كل عوامل القوّة والضعف ، التى يتصف بهما هيكل الدولتين المتجاورتين ، ليس على الصعيد العسكرى فقط ، بل وعلى الصعيد السياسى والديموغرافى والاقتصادى والاجتماعى والمعنوى أيضاً . وفى نتائج الجولات العربية الإسرائيلية المتتالية ما يكفى لإثبات تلك الحقيقة .

ويمثّل الجنوب اللبنانى انطباقا تاماً لتلك الحقيقة ، التى لم تطرأ على مسرح أحداث المنطقة عند قيام دولة إسرائيل فقط ، بل ظهرت قبلها بكثير ، عندما رسم الاستعمار الأنجلوفرنسى خريطة المنطقة ، بعد خروجها من نير الإمبراطورية العثمانية فى أعقاب الحرب

العالمية الأولى ، وذلك على موائد اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ ، وفى قاعات قصر فرساى عام ١٩١٩ ، ثم معاهدة سان ريمو عام ١٩٢٣ ، التى أقرَّت حدود فلسطين وسلطة الانتداب البريطانى عليها .

ومنذ ذلك التاريخ . . لم تدخر الصهيونية وسعاً فى أن تضمِّن حدود فلسطين -أرض المعاد - كل ما يمكن ضمه من أنهار وينابيع وبحيرات عذبة .

المياه ومشروع تهويد فلسطين :

وترجع أهمية المياه لدولة إسرائيل إلى طبيعة المشروع الاستيطانى الصهيونى نفسه ، الذى قام على المستعمرات الزراعية وصولاً إلى المجتمع المتمسِّك بالأرض ، والمتأهِّب دوماً للقتال من أجلها ، ومن ثم أصبحت المياه محور ذلك المشروع الاستيطانى ، وكل ما يقوم حوله من صناعات وأسواق تجارية ومظاهر معيشية متنوعة .

ولكل ما سبق . . أولى المشروع الاستيطانى الصهيونى أهمية كبرى لمصادر المياه العذبة فى الدولة المنشودة قبل إنشائها . ففى ندوة باريس عام ١٩١٩ . . طالب الصهاينة أن تمتد رقعة تلك الدولة من نهر الليطانى وسفح جبل الشيخ شمالاً ، حتى وادى اليرموك ، ثم أعادوا التأكيد - مرة أخرى - فى المذكرة التى تقدَّم بها الوفد الصيهونى إلى مؤتمر الصلح المنعقد ، بعد الحرب العالمية الثانية بأن جبل الشيخ يجب أن يكون المصدر الرئيسى للمياه فى أرض المعاد ، التى لا تكتمل حدودها إلاَّ بالحصول على كل الأرض فيما بين نهر مصر (وادى العريش فى التوراة) ، والنهر الكبير (نهر الفرات) .

ولمَّا كان الموقع الجغرافى للقسم الصهيونى من قرار التقسيم - وما نجح مخطط التوسع فى استلابه - بعدئذ من فلسطين العربية - يقع كلّه داخل الشريحة المدارية التى تمتد بمحاذاة البحر المتوسط ، وترتبط بتأثيراتها المناخية والجوية ، وبما يسقط عليها من أمطار قليلة خلال فصل الشتاء فحسب . فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى المصادر الأخرى ، وعلى رأسها الأنهار التى تجرى طول العام داخل فلسطين ومن حولها .

المياه وأمن إسرائيل :

فى بلد يسعى إلى توطين أكبر عدد من يهود العالم فيه ، اقتناعاً بالشعار الذى نادى به زائيف جابوتنسكى عام ١٩٣٣ بأن « الصهيونية هى الاستيطان ، ولسوف تحيا وتموت مع

قضية قواتها المسلحة » . . يصبح التطلّع إلى إمتلاك كل ما يمكن امتلاكه من مصادر المياه العذبة شديد الارتباط بمشروعات التوطين ، و - من ثم - بالأمن الوطنى الإسرائيلى وركائزه الاقتصادية والاجتماعية ، التى تضمن استمرار الحياة فى الدولة .

ونتيجة لذلك . . فقد احتلت مشكلات المياة بالنسبة لدولة إسرائيل رأس قائمة معضلات أمنها الوطنى .

وكذلك الأمن العربى :

وغنى عن البيان أن تلك المعضلة تمس أيضاً - وبنفس القدر - الكيان العربى لدول الطوق حول فلسطين ، وتؤثرٌ بشكل مباشر وشديد على أمنها القومى مجتمعة ، وعلى الأمن الوطنى لكل دولة منها على حدة . ولا يعتبر ذلك خطرًا طارئا عليها ، بل هو يضرب فى أغوار الماضى لعدة حقب سابقة ، كما يستشرى ذلك الخطر فى المستقبل المنظور .

فقبل أن تطأ الهجرة الثانية أرض فلسطين فى عام ١٩٠٤ . . درست جغرافيتها الطبيعية ومصادر مياهها ، التى تبين أن معظمها يقع فى المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد ، وفى الأرض اللبنانية والسورية المتاخمة لها . بينما تفتقر الشرائح الوسطى والجنوبية - والتى تناهز مساحتها ١٣ مليون دونم - إلى المياه فيما عدا قسم صغير على الساحل ، فيما بين يافا وغزة ؛ حيث يجرى نهر اليرموك الذى يصب شمال تل أبيب .

مطامع قديمة :

لهذا . . طمع اليهود - منذ أكثر من مائة عام - فى روافد نهر الأردن داخل أراضى لبنان وسوريا ، على نحو ما جاء بكتاب « أرض الميعاد بالصفحة ٦٥ » الذى أصدرته الجمعية العلمية لدراسة أرض فلسطين ، حتى يمكن توطين نحو خمسة ملايين يهودى .

وخلال - وبعد انتهاء- الحرب العالمية الأولى . . استمر زعماء اليهود فى بذل الجهود الكثيفة لاقتطاع فلسطين من إقليم الشام ، واعتبارها وحدة مستقلّة سياسياً وجغرافياً ، على أن تشمل منابع نهر الليطانى ونهر الوزّانى ونهر اليرموك . وقد ذكر حاييم وايزمان فى كتابة « المحاولة والخطأ» أنه اجتمع خلال فترة انعقاد مؤتمر السلام - بباريس عام ١٩١٩ - بالجنرال جورو ، المندوب السامى الفرنسى بلبنان وسوريا ، لإقناعه بضم حوض نهر الليطانى إلى أرض فلسطين .

ولماً لم تنجح مساعيه . . ظل يواصل الجهد مع حكومتى بريطانيا وفرنسا ، خلال عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ؛ لإدخال حوض نهرى بانياس والحصبانى ، وبعض القرى اللبنانية بحوض الليطانى داخل حدود فلسطين ، التى كانت الصيهونية تعمل وقتها بكل همة لاغتصابها من أصحابها العرب .

ثم أعلن ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا ، فى مجلس العموم فى خريف عام ١٩٤١ أن الصهاينة طالبوا حكومته بإطلاق أيديهم فى كل فلسطين ، بعد ضم جنوب لبنان إليها ، حيث يجرى نهر الليطانى ، مقابل حشد كافة طاقات وإمكانيات اليهود ، لخدمة بريطانيا وحلفائها لكسب الحرب .

وبمجرد اشتعال الحرب بين الصهاينة والعرب فى صيف عام ١٩٤٨ ، وضع بن جوريون نصب عينيه الاستيلاء على الجليل الأعلى ، الذى خصصه قرار التقسيم للعرب . . فكانت تلك الشريحة الغنية بمياهها ، الخصبة بتربتها ، أول ما وجهّت الأركان العامة الإسرائيلية قواتها الميدانية لاغتصابها ، وطرد أغلب أهلها إلى لبنان وسوريا بالقوة الجبرية والعنف المطلق .

وأخطار تهدد أمن العرب :

وتكشف تلك الجهود النشطة للحصول على مزيد من موارد المياه واستزراع مزيد من الأراضى ، لتوطين مزيد من المهاجرين عليها عن مدى الخطر ، الذى سوف تشكله المياه على الأمن الوطنى والقومى للدول العربية المحيطة بإسرائيل ، منفردة ومجتمعة .

وإذا كان أمنها القومى قد انتهك فيما سبق على يد الاستعمار الأنجلو فرنسى ، الذى كان يسعى إلى الحصول على خامات الصناعة ومحاصيل الزراعة بالمنطقة ؛ ليرفع بهما مستوى المعيشة فى بلاده ، ويفتح لها الأسواق فى تلك الدول العربية . . فإن واقع الحال ، وما يحمله المستقبل للمنطقة ، يحمل - بين طياته - خطراً أكيداً على أمنها ، نتيجة حاجة إسرائيل الملّحة إلى مزيد من كميات المياه لسد احتياجاتها المتزايدة منها ، فى مختلف أغراض المعيشة والصناعة والزراعة . ويتوقّع العلماء أن تكون بؤرة الصراعات الدامية فى القرن الحادى والعشرين .

والواقع . . أن أطماع الصهيونية فى المياه العربية تنبع من طبيعة المشروع الصهيونى ذاته ، فهو مشروع قائم على الاستيطان ، والزراعة هى هدفه المثالى فى إيجاد المجتمع

الصهيونى الجديد ، المتمسك بالأرض ، المستعد للقتال من أجلها ، والتوسع فيها حيثما تسنح الفرصة . وبهذا . . أصبحت المياه العامل الرئيسى فى تحقيق الرؤية الصهيونية ، وصك الشعارات التى يجسِّدها العلم الإسرائيلى نفسه بتلكما الشريحتين الرفيعتين من اللون الأزرق اللتين تحفَّان بجانبيه تعبيرًا عن النهرين سالفى الذكر .

ولإحكام السيطرة على المياه العربية . . أحبطت إسرائيل مشروع سد المقارن عام ١٩٥٦ ، ثم قامت بتحويل مياه نهر الأردن عام ١٩٦٥ . ثم أحبطت مشروع سد خالد بن الوليد عام ١٩٦٧ ، وهدَّدت بأنها سوف تتدخل لوقف أى مشروع مائى ، يؤدى إلى خفض كمية المياه التى تلزمها بغض النظر عن تجاوز تلك الكمية لحصتها المقنَّنة من المياه .

وفى ظل غياب السيطرة اللبنانية على جنوب الدولة . . عمدت إسرائيل إلى مد خط أنابيب تحت الأرض ، يصل المياه الجوفية الغزيرة بالجنوب اللبنانى ، وكذا مياه الوزانى والليطانى إلى شمال إسرائيل .

قناة البحرين :

وبين الحين والآخر تردد أبواق الدعاية الصهيونية عزم إسرائيل على تنفيذ مشروع قناة البحرين : المتوسط والميت ، الذى يجسد الأطماع الصهيونية فى الأرض العربية ، والذى تعود جذوره إلى مخطط تيودور هرتزل فى كتابه « الأرض القديمة - الجديدة » : « حيث يهدف إلى الاستفادة من فارق المنسوب بين البحرين ، والبالغ نحو ٤٠٠ مترًا بجر المياه المالحة عبر أنبوب ضخم لمسافة ١١٤ كيلو مترًا ، لتوليد طاقة كهربائية كبيرة ، وتبريد المفاعلات النووية ضارباً عرض الحائط بالمصالح الأردنية ، التى سوف يوقع هذا المشروع بها الضرر البليغ ؛ نتيجة تجبّس التربة عند اختلاط المياه المالحة بها ، وتدهور مشروع البوتاس الذى يعتبر أحد المشروعات الصناعية الرئيسية فى الأردن ، فضلاً عن إغراق مساحات واسعة من الأراضى الأردنية بالمياه المالحة ، وكذلك غمره عدة طرق سياحية تعتبر مورداً سياحياً مهمًا لخزينة الأردن.

ضرورة تحرك العرب :

وفى مواجهة الأطماع والخطط الصهيونية فى المياه والأنهار والينابيع العربية ، وأزمات المياه التى سوف تعانى منها كل دول الشرق الأوسط ، فى القرن الحادى والعشرين . . تبدو

الحاجة ملّحة إلى تحرّك عربى مشترك ، فالخطر فى جوهره يعنى الأمن الوطنى للدول العربية منفردة ، كما يعنى أمنها القومى فى حاضرها ومستقبلها أيضاً .

ولمواجهة ذلك الخطر .. فإنه لا بديل عن استراتيجية عربية مشتركة ، تتصدى إيجابيًا لمحاولات إسرائيل الحصول على المزيد من المياه العربية ، بالتحرك إقليميا ودوليا بما يبعد شبح حروب المياه عن المنطقة ، فلا يكون القرن القادم هو قرن حروب المياه والعطش والجفاف .... والفناء .

خاتمة :

لقد كشف شمعون بيريز عن أبعاد مشكلة المياه ، وما سوف تثيره من قلاقل للأمن القومى العربى فى المستقبل ، بما جاء في كتابه عن الشرق الأوسط الجديد ، الذى صدر عام ١٩٩٤ ، بأن العلاقات بين الدول فى المنطقة كانت - ولا تزال - ترتبط بسياسة المياه .

وتدرك إسرائيل أن الحل الوحيد لمشكلة نقص المياه التى تواجهها ، ينحصر فى إعادة توزيع حصيلة مياه المنطقة بما يضمن لها حصة أكبر .

ومن هنا .. تصبح صياغة علاقات أوضح بين الدول العربية ، مسألة حاسمة لقطع الطريق على إسرائيل فى سعيها الحثيث إلى التحول من فكرة إسرائيل الكبرى التى تحققها بقوة السلاح ، إلى إسرائيل العظمى ، التى تتطلع اليوم لتحقيقها بقوة الاقتصاد الذى يعتبر المياه أهم أسلحته .

والواقع .. أن وضع منهاج عمل عربى متكامل لمواجهة ذلك الخطر ، سوف يثير عدة قضايا عاجلة وآجلة ؛ إذ لا يمكن فصل قضايا الأمن الوطنى أو القومى عن القضايا الأخرى الداخلية والخارجية بالنسبة للدول العربية ودولة إسرائيل ، وما سوف يواجهها جميعاً فى المستقبل من مصالح متعارضة داخل المنطقة ، وعلى الصعيد العالمى .

فالأمن يرتبط بوظيفة الدولة وحكومتها المركزية التى تملك القرار لحل المشكلات ، التى تعرّضها للأخطار . وهى تتبلور فى حالتنا هذه فى الصراع الحالى والمتوقّع مستقبلا على المياه العذبة فى المنطقة . ولما كان التوجُّه العام أصبح ينحو إلى الحلول الوسط ، فيما يشجر بين العرب وإسرائيل من قضايا ، فما أحراهم جميعاً أن يضموا مشكلات المياه العذبة قائمة

المسائل المطروحة على بساط البحث ، فيـما يتفاوضون بشأنه الآن ، وصولاً إلى سلم عادل ودائم ومضمون .

المراجع والمصادر :

الزراعة والاستيطان ، أرييه أمير ، القدس ، ١٩٥٨ .

مركز المعلومات الحكومى لإسرائيل ، ملازم وخرائط اعوام ١٩٨٠ - ١٩٩٠ .

مجلات الزراعة الإسرائيلية أعوام ١٩٧٣ - ١٩٧٨ .

المياه فى إسرائيل ، مردخاى يعقوب بيفتش ، حيفا ، ١٩٧١ .

الشرق الأوسط الجديد ، شمعون بيريز ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ .

Papers on Demography, Jusslen Schmel 1 et als, Jerusalem, 1980.

Israel Central Bureau of Statistic, Statistical Abstract of Israel, 1992 .

الفصل الرابع

كيف دارت معركة النفط فى جولة خريف ١٩٧٣

لم تكن محاولة استخدام العرب للنفط فى المعركة عام ١٩٧٣ هى المرة الأولى فى صراعهم الطويل مع إسرائيل ، إذ سبقتها محاولة أخرى لم يكتب لها النجاح ، خلال جولة صيف ١٩٦٧ نظراً لقصر مدة القتال فى تلك الحرب الخاطفة بما لم يتح لقرارات حظر النفط العربى على الدول ، التى ساندت إسرائيل وقتها أن تطرح ثمارها المرجوّة .

وظلّت الشعوب العربية تتطلّع لحسن استخدامه فى الجولة القادمة ، إلاّ أن النتائج لم تكن هذه المرّة أيضاً على مستوى الآمال المعقودة عليها ، إذ لم توقع الضرر المنشود لمن وجهت ضدهم معركة النفط فى جولة خريف ١٩٧٣ ، كما لم تفد من أرادت مساعدته .

ولفهم أسباب ذلك يلزم إلقاء نظرة على خلفية موقف الطاقة فى كل من دول الشرق الأوسط والدول الغربية بصفة عامة ، مع التركيز بوجه خاص على موقف المملكة العربية السعودية بالنسبة للأولى ، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للثانية .

ففى شتاء ١٩٧٢ تعرَّضت الولايات المتحدة لأزمة طاقة خانقة ترتَّب عليها توقُّف محطات البنزين الأهلية عن العمل ، كما انقطعت التدفئة عن المنازل بما دفع الرئيس ريتشارد نيكسون إلى اتخاذ قرار زيادة استيراد النفط بنسبة ٥ ٪ من جملة الاستهلاك الوطنى العام . وكانت نسبة النفط العربى فيها لا تتجاوز ١٨ ٪ ، على حين كانت تلك النسبة تزيد على ٦٠ ٪ لما تستورده دول غرب أوروبا . أما اليابان فوصل اعتمادها على نفط الشرق الأوسط إلى نحو ٩٠ ٪ من جملة احتياجاتها منه .

وبينما تملك الشركات الأمريكية نحو ٦٠ ٪ من حقول النفط فى الوطن العربى ، فإن دول غرب أوروبا واليابان لم تكن تملك منها شيئاً باستثناء أنصبة قليلة لبريطانيا وفرنسا ، بما يعنى أن الولايات المتحدة كانت المستفيد الأول من بيع النفط العربى .

وكانت السعودية هى الدولة المتحكِّمة فى سياسة النفط العربى بما تملكه من احتياطى محقق ، يزيد على ثلاثة أمثال ما هو موجود بدول الشرق الأوسط الأخرى بما فيها إيران . إلاّ أن الملك فيصل كان يرى ألاّ يستخدم النفط العربى ، كسلعة على نحو ما أقره وزير النفط السعودى الشيخ أحمد زكى يمانى أمام مؤسسة الشرق الأوسط فى أبريل ١٩٧٣ ، ثم بذل الوعود بتزويد الولايات المتحدة بكافة احتياجاتها من النفط السعودى ، إلى جانب استثمار جزء كبير من عائداته فى الولايات المتحدة .

الاّ أن السلطات الأمريكية ظلّت تبدى الحذر من مخاطر الاعتماد على مصدر وحيد للنفط الذى تستورده . وفى نفس الوقت اعتبرت كل ما يدور من تهديدات عربية باستخدام النفط فى المعركة المقبلة مجرد زوبعة فى فنجال ، طالما ظل الملك فيصل على رأيه الذى سبق أن أعلنه مرارًا وتكرارًا .

وفى تلك الاثناء صرَّح السناتور وليم فولبرايت أمام لجنة الشئون الخارجية والأمن الأمريكية ، بأن جيش إسرائيل يستطيع ، إذا ما قام العرب بحظر تصدير نفطهم ، أن يحتل الكويت وما يجاورها من حقول نفط سعودية ، دون أن يلقى مقاومة تذكر .

إلاّ أن الموقف دخل عليه تغير جذرى بنجاح الثورة الليبية فى مطلع سبتمبر ١٩٦٩ . وعندما أصدر الرئيس معمر القذافى الأمر بتخفيض إنتاج حقل تملكه الشركة الأمريكية بمقدار ٣٠٠ الف برميل يومياً ، انتشر القلق بين الشركات الأخرى خشية أن يأتى دورها عمَّا قريب ، لاسيما وأن العالم كان يعانى وقتها من نقص خطير فى السفن حاملة النفط ، يمنعها من استعاضة النفط الليبى من مصادر أخرى بعيدة .

ثم توالت الاقتراحات عن كيفية تخطيط وإدارة حرب النفط لاستخلاص الحقوق العربية التى اغتصبتها إسرائيل بمساعدة الغرب ، فكان بعضها يدعو إلى تأميمه كليةً بينما فضَّل البعض الآخر التحكُّم فى الكميات التى يسمح بتصديرها ، على اعتبار أن التأميم الكامل لن يوقع الضرر بالشركات العالمية التى تملكه ، أو تقوم بتسويقه طالما أنها تستطيع تعويض خسائرها فى مجالات أخرى ، لا يستطيع الشرق الأوسط عامة ولا الدول العربية على وجه الخصوص الاستغناء عنها ، وسوف يكفى رفع أسعار بيعها للعرب لتغطية الخسائر المترتبة على تأميم النفط .

ورغم ذلك ظل النفط فى مقدمة أسلحة المعركة ، التى لم تترك هزيمة ١٩٦٧ مصداقية

لسلاح آخر ، يمكن للعرب أن يعتمدوا عليه بنفس الثقة لاجتياز المحنة ، فلما عقد مؤتمر الخرطوم فى نهاية أغسطس ١٩٦٧ - وكان بمثابة الفرصة الأولى لرسم سياسة موحّدة للنفط العربى - سرعان ما ظهرت خشية الحكومات ، والشركات العربية المعنيَّة من أخطارها على مصالحها الذاتية الآنية ، إذا تكررت تجربة تأميم النفط الإيرانى بواسطة الرئيس محمد مصدِّق .

وكان أقصى ما يتطلع إليه الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر الخرطوم ، أن يحصل على دعم مالى من دول النفط العربى يسند به اقتصاد مصر المنهار ، وقد جاءته تلك المعونة من حيث لم يحتسب ، إذ بادر الملك فيصل إلى عرض مائتى مليون جنيه تدفعها السعودية والكويت وليبيا ، لتسند اقتصاد دول المواجهة من عثرته .

وفى نفس الوقت اغلق الملك فيصل الباب بإحكام فى وجه كل اقتراحات استخدام النفط فى المعركة التى ظل يرفضها بعدئذ حتى شهر يوليو ١٩٧٣ ، حيث إنه كان لا يمل من التأكيد على أن النفط ليس سلاحاً حربياً بل قوة اقتصادية ، حتى إنَّه عمد بمجرد قطع أنابيب التاب لاين إلى التهديد بوقف المعونة المالية لدول المواجهة لمدة شهر لتعويض الخسائر التى ترتبت على توقف الضخ .

ثم ظلَّت آراء الأسرة السعودية تتضارب فى هذا الشأن ، إلى أن اجتمع الملك فيصل بالرئيس السادات فى نهاية شهر أغسطس ١٩٧٣ ؛ ليفاجئه باستعداده لخوض معركة النفط ، شريطة أن يستمر القتال فى المسرح حتى تطرح معركة النفط ثمارها ، وتعبئ الرأى العام العالمى لصالح العرب بأسلوب العصا والجزرة .

وبهذا التحوُّل المفاجئ أصبح الشرق الأوسط يواجه فى صيف عام ١٩٧٣ .. مشكلتين عويصتين : إحداهما اقتصادية وهى مشكلة النفط ، والأخرى سياسية عسكرية وهى مشكلة اتخاذ قرار الحرب . وسرعان ما شعرت القيادة المصرية بالعلاقة المتبادلة بينهما إذ وجدت أن جهاز تفجير المشكلة الأولى تتحكم فيه المشكلة الثانية ، مثلما تتحكم الأولى فى جهاز تفجير الثانية .

وبهذا تحوّل نفط العرب إلى مارد انطلق من قمقم الاحتكارات والقيود الإمبريالية ، وأصبح السؤال هل يستطيع أصحابه أن يروِّضوه ويخضعوه لإرادتهم أم أن النفوذ الإمبريالى سوف يعيد التحكم فيه مرة أخرى ليستأنف سيطرته على مصائر العالم العربى ؟

كما أصبح السؤال أيضا هل يظل العرب يعتبرون النفط مجرد سلعة استراتيجية ، يجب الاستفادة من قيمتها التجارية ، أم أنه أصبح سلاحاً مثل المدفع والقنبلة ، يلزم حشده فى المعركة التى سوف تخوضها قواتهم المسلحة ؟

لقد سبق للزعماء العرب فى مؤتمر الخرطوم ، الذى عقدوه فى أول سبتمبر ١٩٦٧ - بعد ثلاثة شهور من الجولة الثالثة - أن أعلنوا بعد دراسة توصيات وزراء المال والاقتصاد والنفط العربى التى نصحت بوقف ضخّه كسلاح فى المعركة ، اعتراضهم عليها مع التأكيد على أنه طاقة عربية يلزم استمرار ضخها لدعم اقتصاد دول المواجهة ، وتمكينها من مواصلة الصمود واستكمال الاستعدادات .

وبمعنى آخر أكّد مؤتمر الخرطوم النظرية التى تطالب بفصله كسلعة عنه كسلاح .

ولم يكن العرب وقتئذ قد استقروا على خطة لرفع اسعار النفط ، عندما تبدأ الحرب رغم وجود مجموعة خبراء فى وزارة الخارجية المصرية لتقديم المقترحات فى تلك المسألة . ولحسن الحظ كان المهندس مصطفى خليل قد أعد لها دراسة مبكرة ، قام الرئيس السادات بتكليف الدكتور محمود فوزى بمراجعتها صباح ٧ اكتوبر ١٩٧٣ ، توطئة لإخطار المملكة العربية السعودية ودول الخليج بمضمونها صباح اليوم التالى .

وقد تلخّصت تلك الدراسة فى اعتبار النفط سلعة استراتيجية واقتصادية ، وليس سلاحًا بحد ذاته طالما أنه لا يستطيع أن يكسب حربًا بمفرده ، فكل ما يمكنه هو أن يوفّر وسيلة ذات تأثير كبير فى ممارسة الضغوط السياسية على الدول التى تستهلكه ، على ألاّ تسترسل الدول المصدرة فى ممارسة تلك الضغوط بدرجة تحولها إلى أعداء .

فالدول الأجنبية التى تعارض خوض العرب للحرب لاستعادة حقوقهم المغتصبة يمكن التخفيف من حدة مواقفها السياسية المعاكسة بالتلويح لها بسلعة النفط ، وكذلك تلك التى تسارع إلى تزويد إسرائيل بالسلاح والمعونات الأخرى لدفعها إلى التوقف عن ذلك .

وإلى جانب تلك الإجراءات . . فليس هناك مانع من رفع أسعار النفط ، مع خفض معدلات تصديره بالقدر الذى يخدم المصلحة العربية ، ويتعادل مع أسعار مصادر الطاقة الأخرى .

وبعد عرض ملخص لتلك الدراسة على الملك فيصل ، والأمير فهد ، والدكتور رشاد فرعون مستشار الملك الخاص . . صار اعتمادها مساء ٨ أكتوبر ، ووضعها موضع التنفيذ

الفورى ، مع إخطار القائم بأعمال سفارة الولايات المتحدة بالسعودية ، بقرار تخفيض الإنتاج بنسبة ١٥ ٪ بينما يقوم وزير الخارجية الموجود بواشنطن بإخطار الرئيس نيكسون بنفس الأمر .

ثم توجه الوفد المصرى فى الغد إلى الكويت ، يحمل لحاكم الدولة نفس الدراسة ، التى وافق عليها أيضاً قبل أن يتوجه الوفد إلى قطر وأبو ظبى وسلطنة عمان لإنجاز نفس المهمة .

وفى ١٧ اكتوبر اجتمع وزراء النفط العربى بالكويت ، لتنسيق سياسة خفض الإنتاج ورفع الأسعار حيث وصلتهم نصيحة الرئيس السادات بالاكتفاء بنسبة خفض ٥ ٪ فقط . إلا أن الزيادة فى السعر خدمت مصالح الشركات الأمريكية أضعاف خدمتها للمصلحة العربية .

ورغم الاتفاق على ألا يتجاوز الخفض نسبة ٥ ٪ فقد قامت بعض الحكومات العربية بخفضه بنسبة ٢٥ ٪ ، مما أشاع الذعر فى غرب أوروبا والولايات المتحدة ، إلاّ أن طريقة التنفيذ لم تكن محكمة ، إذ اكتفت بأخذ التعهدات على الموانى التى صدر بشأنها الحظر .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين سلاح النفط ومسار الصراع العربى الإسرائيلى فإن زيادة سعره تعود ، بالدرجة الأولى - إلى التطورات التى شهدتها السوق العالمية ، نتيجة تغيرّ علاقات القوة بين الشركات العملاقة التى تتعامل فى النفط كسلعة ، وبين الدول العربية التى تصدره ، بعد أن أثبتت الأخيرة قدرتها على فرض إرادتها ، وإجبار تلك الشركات على تقديم تنازلات اقتصادية ذات وزن .

وكانت هزيمة صيف ١٩٦٧ وما ترتب عليها من شعور العرب بالظلم الواقع عليهم بمؤازرة الغرب ، وتقاعس الولايات المتحدة عن ممارسة أى دور إيجابى للوصول إلى حل عادل ودائم للمشكلة العربية الإسرائيلية - كان كل ذلك - دافعاً أساسيًا للعرب لاستخدام النفط كسلاح ، مع رفع سعره لتمويل الكفاح .

وفى ظل التجاهل المستمر لحقوق العرب ، واستمرار الوجود غير الشرعى لإسرائيل فى الأراضى المحتلة ، استمدت قرارات الحظر ورفع السعر شرعيتها من العرض الدولى أولاً ، ومن قرارات المنظمات الدولية ثانياً ، ومن قانون المعاهدات ثالثاً ، مستندة - فى كل تلك الركائز - إلى ما تبيحه حالة الحرب القائمة بين العرب وإسرائيل من حقوق مشروعة فى ممارسة فرض القيود ، وتحديد الأسعار على نحو ما مارسته الولايات المتحدة نفسها منذ عام

١٩٤٠ ، حتى اصبحت أغلب صادراتها موضع قيود خاصة باعتبارات الأمن ، وفقاً لقانونى تنظيم الصادرات الامريكية الصادرات فى عامى ١٩٤٩ ، ١٩٦٩ .

ويتضح مما سبق أن رفع سعر النفط العربى يستند إلى شرعية قانونية ، إلاّ أن نتائجه عادت على الشركات الأمريكية المستغلة بمكاسب تزيد عل السبعة دولارات مقابل كل دولار حصلت عليه الدول العربية المصدرة . كما كان من نتائج رفع الاسعار أيضاً أن اقترب سعر النفط فى السوق العالمى من سعر بعض المصادر الأخرى للطاقة ، وهو نفس الهدف الذى كانت تسعى الولايات المتحدة لتحقيقه منذ زمن بعيد ، بينما كانت أوروبا الغربية واليابان من أشد ضحاياه وأكثرهم معاناة مع العرب - غير منتجى النفط - من التضخم الذى ترتب عليه .

وكما ربحت الولايات المتحد من تخفيض نسبة الضخ ورفع سعر النفط العربى ، فقد ربحت أيضاً من الغاء تلك النسبة ، قبل أن يتم جلاء الإسرائيلين عن كل الأراضى المغتصبة على نحو ما أكّده قرار الحظر .

فالبرقيات المتتالية التى راح الرئيس نيكسون والمستر هنرى كيسنجر يرسلانها للرئيس السادات والملك فيصل ، تحمل تهديداً بالتوقف عن بذل أى جهد لتسوية المشكلة العربية الإسرائيلية سلميًا قبل إلغاء الحظر المفروض على النفط ونسبة خفض إنتاجه ، جعلتهما ينزلان على رغبة الولايات المتحدة قبل أن يتحقق ذلك الهدف المنشود .

والخلاصة أن دول النفط العربية وإن لم تنجح فى إدارة معركتها بمهارة عالية ، فقد ظهرت أمام العالم - ولأول مرة - فى جبهة متحدة تختلف كثيراً عما كان عليه حالها قبل جولة خريف ١٩٧٣ . كما أنها برهنت أيضاً على مدى قدرة تكتلها فى نقل السلطة الاقتصادية من عواصم العالم الغربى إلى عواصمها الوطنية .

وبانتهاء الجولة الرابعة . . توقف إلى حد ما الخلاف بين أنصار النفط كسلعة ، وأنصاره كسلاح ، بعد أن أثبت التلاحم بين السلاح العسكرى وسلاح النفط أن لا مفر من استخدامهما معاً وفقاً لاستراتيجية عربية شاملة ، وأن جدوى أحدهما سوف تقل كثيراً إذا ما غاب الآخر عن المسرح .

الفصل الخامس

تضامن القوى العربية

تواجه الأمة العربية اليوم أزمة مركبة ، وتناقضًا صارخًا في واقعنا العربى فى مرحلة انتقالية ، تشهد تغيرات عميقة وصراعات تاريخية قديمة ومتجددة . وأيضا فى مرحلة عدم استقرار في ظل ظروف عالمية سريعة التغيير والتبديل ، ونتعرض لصراع بين التجزئة والوحدة وبين السلفية وقوى التحديث والتنوير .

ومازالت القبلية ضاربة جذورها فى أعماق مجتمعاتنا ، وتتزامن معها نخبة مثقفة متجاوبة مع تطور الزمن ، تستوعب التغيرات الهائلة التى احدثتها الثورة العلمية والتقنيَّة وتتعامل معها . . ويظهر هذا التناقض الصارخ فى أنظمة اقتصادية بدائية فى الريف والزراعة ، تعيش جنبًا إلى جنب مع مراكز الاتصالات وأبحاث وبرامج الكمبيوتر المتطورة وبنوك ومصارف ومصانع غاية فى التطور ، تضارع الصناعة المتقدمة مثلها فى الدول الكبرى ، ويعيش الشعب العربى داخل حدوده القطرية الضيقة عدَّة حضارات وعدَّة ثقافات . ومازلنا نعيش مأساة الخليج والغزو العراقى للكويت ، وما أحدثته من شرخ فى البناء ، وفى المواطن العربى . وهناك قوى أجنبية إقليميَّة وعالمية ، تريد لنا أن نعيش هذه المأساة دائما لكى تعمق بها الخلافات والصراعات العربية ، ولكى يصبح التشرذم العربى ، هو الظاهرة السائدة فى المنطقة .

ولا يزال الإرهاب المتخفى باسم الدين يمارس هوايته فى القتل وترويع الأبرياء ، وزعزعة الأمن ، والنيل من اقتصاد البلاد فى كثير من الاقطار العربية .

وهناك جهود هائلة تبذل لتفتيت الوطن العربى إلى تكتلات متباغضة ، لكل منها اتجاهاتها السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية والأمنية ، على أن تلحق كل كتلة منها بقوى أخرى غير عربية ، وذلك للقضاء على الهوية العربية وتكريس التجزئة والتقسيم .

إن الوضع العربى وما تتعرض له البلدان العربية على امتدادها ، من مخاطر - سواء

من خارجها أو داخلها أو الاثنين معا - يجعل للتضامن العربى عامة وتضامن القوى العربية خاصة ، رسالة قومية بالغة الأهمية ، وخصوصًا وأن الغرب عاد إلى امتلاك السلطة شبه المطلقة للقرار الدولى فكل القضايا التى تنفجر على الساحة الدولية ، تحكمها قوة من امتلك السلطة وأخضع الأمم المتحدة ومجلس الأمن لفرض مصالحه باسم الشرعية الدولية .

ونجحت هذه القوة فى امتصاص اقتصاديات العالم الثالث فى الاقتصاد العالمى ، الذى تهيمن عليه كجزء من عملية السيطرة الكاملة globalization على مقدرات الشعوب .

ومازالت أرضنا العربية فى الجولان السورية وجنوب لبنان تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى ، وتتعرض عشرات القرى اللبنانية ومئات الألوف من الأخوة اللبنانيين لغارات إسرائيلية وحشية مستمرة ، تستهدف تفريغ الجنوب اللبنانى من أهله وسكانه كما لا يزال الحصار مفروضًا على شعب العراق ، كما تتصاعد العقوبات على الجماهيرية الليبية ، ويواجه الشعب الفلسطينى البطل وانتفاضته الباسلة المجازر بدلاً من التحرر واسترداد الأرض وإقامة دولته المستقلة . وحتى اتفاقية غزة - أريحا تحاول إسرائيل تحويلها إلى إتفاقية خالية من أى مضمون حقيقى .

وفي الجانب الآخر نجد أن بعض أدوات الضغط على إسرائيل بدأت تتهاوى ، فالمقاطعة العربية لإسرائيل ومن يتعامل معها تتآكل ، وخطى التطبيع تسير وفق هوى إسرائيل وبضغوط أمريكا على الدول العربية من كل الاتجاهات . وحتى فرنسا تعيد تحسين علاقتها مع إسرائيل ، وتزداد إسرائيل قوةً بالدعم العسكرى الامريكى المتقدم ، ويزداد العرب ضعفًا وتهاونًا بسبب الصراعات بين بعضهم البعض على الحدود ، والصراعات القبلية والعرقية التى تصل إلى حد الحرب الأهلية ؛ مما يستنزف قوى الشعب العربى ، ويفرض عليه أوضاعًا اقتصادية واجتماعية غاية فى التردى ، تصل إلى حد المجاعات ، التى تجتاح الآلاف من البشر . وتبرز قمة المأساة على أرض الصومال ، وفى الجنوب السودانى . وتعتبر قضية المياه مسألة حياة أو موت بالنسبة لشعبنا العربى ، ويقول الخبراء :

« ان نقطة المياه قد تصبح مصدرًا لحروب مدمرة فى المنطقة !! » .

وهناك رؤيا جديدة لنظرية الأمن الإسرائيلى ، وترى إسرائيل أن أمنها سيتحقق لو أصبحت عضوًا فى تجمع إقليمى واسع ، لتمتد يداها إلى بترول الخليج وثرواته ورأسماله المتراكم الضخم ، وسوق فى شرقنا الأوسط تكون هى فيه مصدر التقدم والعلم والتقنية ،

والدولة القائدة فى المنطقة ، ويتحقق أمنها من خلال سيطرة جديدة غير السيطرة العسكرية التى اصبحت لا تفى بالغرض ويجب على العرب تقدير الموقف تقديرًا متكاملاً وكشف العوامل المؤثرة على هذه السياسة الجديدة وإظهار مخاطرها ومنافعها ان وجدت ، حتى لا تذوب ثرواتها وتتبخر رؤوس أموالها ويهتز كيانها الاقتصادى والاجتماعى .

وليس أمامنا نحن العرب إلا التضامن ، ولنستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الحشر ١٤]

ومعناها أن اليهود مهما أوتوا من قوة ، لن يستطيعوا قتالنا ونحن مجتمعين . . فلنا الغلبة ولهم الخزى ، لو تضامن العرب ، وتضامنت قدراتهم وقوتهم وثرواتهم ورؤوس أموالهم . وخطوات هذا التضامن يمكن أن نخطوها على مرحلتين :

الأولى :

وقف الصراعات الدموية فى إطار البلد الواحد ، مثل : السودان ، والصومال ، والعراق ، والمغرب ،واليمن . . . . إلخ .

الثانية :

- الاستفادة من تكامل الموارد والطاقات العربية .
- العودة إلى الديموقراطية السليمة .
- الحفاظ على حقوق الإنسان العربى السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
- مواجهة الإرهاب ليس فقط بحدود المواجهة الأمنية ، بل بضرورة إزالة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى اخترقت العقول الضعيفة والقلوب غير السليمة .
- الاتجاه إلى طريق الله طريق الطهارة والرحمة واليقين والقرب من الله . . . ثم الاتجاه إلى العلم غير المنقول ، فالعلم جوهر الدين والدين لا يقوم إلا على العلم بمعنى أن المعرفة اليقينية والمعرفة البرهانية أساس الدين .

والتقنية هى تطبيق العلم النظرى من أجل استخدامه في المنافع العامة بأيسر السبل ، فهى العلم النافع .

ملحق (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسول الله معنا فى المعركة

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

الحشر (٢)

يا جند الله

إن المعركة التى تخوضونها بعزيمة المؤمنين ويقين الصادقين ، ترفرف من حولها البشائر الصادقة التى تملأ الصدور أملا بالنصر العزيز ، وتغمر القلوب بالثقة فى وعد الله بالفتح المبين .

وفيما نعرف من حديث رسول ﷺ أن من رأى رسول الله فى نومه فكأنما رآه فى يقظته ، وقد رأى أكثر من واحد من الصالحين رسول الله ﷺ ، قبل بدء المعركة يشير إلى سيناء إشارات معبرة عن تحريرها . . كما رأى بعضهم رسول الله ﷺ يمشى فيها بين جنودنا مشرق المحيا واضح الابتسامة .

كما رأى أحد الصالحين أن رسول الله ﷺ فى منزل شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود ، فذهب الرائى إليه فى الغرفة المجاورة ليخبره بمقدم رسول الله فوجده يصلى . . فانتظر إلى أن انتهى من صلاته . . ثم أخبره فقال إنى أعرف . . لأنى ذاهب معه إلى سيناء . . يقول الرائى ثم رأيت شيخ الأزهر يرافق الرسول إلى سيناء ، حيث أشرق بنوره الكريم هناك . . وأخذا يتنقلان معًا بين الجنود .

يا جند الله :

ان البشائر الصادقة أشرقت مؤذنة بيوم النصر المرتقب ، فعلى بركة الله شدوا على

أعداء الإنسانية ، أعداء الله . . طهروا تراب الوطن العزيز من رجس الغاصب . . انصروا الله ينصركم . . والأمة كلها من ورائكم ، مؤمنة بأن النصر بإذن الله حليفكم .

والله معكم يحميكم ويرعاكم ، ودعوات الصالحين الخالصة بالنصر المؤزر والفتح المبين . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

(منشور دينى وزع على الجنود قبل معركة العاشر من رمضان ١٣٩٣ ، كما نشره الاستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة).

ص ٣٥٠ وعلق عليه بالآتى

إن صيحة الله اكبر التى انطلقت بها حناجر الجنود على جسور العبور ، كانت تكفينا صلاة ودعاء ، يشارك فيها كل المؤمنين . . وهى فى كل الأحوال تغنينا عن كل الأحلام بما فيها أحلام الصالحين .

والمشكلة - كما علل هيكل - أن هذا المنشور الموزع على الجنود ، يحوى خلطًا بين الوطنية والدين بين الشيوخ والجنود وهو شئ لا داعٍ له - خصوصًا وأن هناك من قادة الجيوش والفرق ضباطًا من الأقباط ، ونفس الحال على نطاق أوسع قائم بين الجنود . . وهو يخشى من تحويل الصراع إلى حرب دينية ، بينما هو فى الحقيقة صراع قومى .

وتعليقى موجود فى هذه الآية من سورة الاحزاب آية (٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

رؤيا الحرب

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

٢٥٠ البقرة

وانى لا أستطيع أن أنكر فضل الله علينا ، الذى ظهر جليًا واضحًا فى قتال العاشر من رمضان ، ولا يمكن أن يكذب الإنسان المؤمن نفسه ، أو يكذب من يثق فيهم من الرجال الصالحين سواء من جند مصر المقاتلين ، أو جند مصر المعممين . . . رجال الصلاح والتقوى والإيمان . .

ففى ليلة ٨ نوفمبر ١٩٧٢ ، الموافق ٥ شوال :

أقف بجوار الرسول ﷺ ، وعلى بعد خطوتين منه تقريبًا ، وهو يشير إلى بالاقتراب أكثر ، فأقول له هل أنا أستحق هذا القرب منك ؟

ويقول ﷺ ستقترب أكثر إن شاء الله وأبكى فرحا والحمد لله .

وفى أبريل ١٩٧٢ كانت جزع طيران وخوف على مصر ، وأرى الرئيس السادات وهو يقرأ على جماعة من الناس ما يراه كحل مع اليهود ، ثم انفجار وانقلاب عربة ومدافع وشظايا ولم أصب بسوء والحمد لله .

ولما جاء عام الحرب - وفى شهر ربيع أول ١٣٩٣ ، الموفق أبريل ١٩٧٣ ، وكنت قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية ، ومقرها القاهرة ، رأيت رؤيا عن الحرب ضد اليهود ونتائجها .

إذاعة أجنبية تقول ان جميع الطائرات فى الجو تعود لاحتمال عاصفة كبيرة قادمة ، وأرى بوادر العاصفة تقترب . وقبل وصولها إلينا تظهر ثلاث طائرات يهودية وفوقها ثلاث طائرات أخرى أكبر منها وتلقى أمامنا بقنابلها ، ولا تحدث خسائر ، وتصل العاصفة نحونا ، ثم يهطل المطر الغزير . . والحمد لله .

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ الموافق ٥ شعبان ١٣٩٣ - أى قبل حرب رمضان بأسابيع قلائل - يرى أحد الصالحين رؤيا ان الرسول ﷺ يكلفنى بمهمة ، ويدعو لى فيها بالنصر . وفى هذا الوقت كنت قائدا للمنطقة العسكرية المركزية ، ولم أكن أعلم بموعد بدء الحرب ، وكنت عندما نقلت من الجيش الثانى فى ٥ يناير ١٩٧٢ قد دعوت الله أمام

رجالى أن أعود للجيش الثانى مرة أخرى إذا عبروا للشرق ، وجاء يوم ٦ أكتوبر بتباشير النصر ولم اشترك فى الحرب ولكن فى ١٦ اكتوبر ٧٣ استدعيت لقيادة الجيش الثانى مرة أخرى أثناء القتال . . واشتركت فى القتال مع رجالى مرة أخرى ، بعدما بعدت عنهم أكثر من ٦٥٤ يومًا .

هذه هى الحقيقة التى سمحت لنفسى أن أبوح بها ، بعدما قرأت ما كتبه الاستاذ هيكل في كتابه عن حرب ١٩٧٣ ، وتعليقه على المنشور الدينى عن رؤية الرسول ﷺ وبشرى النصر . . . والله أعلم . .

عصفورة تحت مظلة الإيمان

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

١١ الاحزاب

فى الساعة ١١ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تقدم العميد أ. ح حسين رضوان قائد اللواء ١١٦ مشاة ، من مكان تجمعه فى تقاطع طريق الإسماعيلية / القاهرة الصحراوى ، عند استراحة عثمان أحمد عثمان فى اتجاه الدفرزوار على رأس اللواء ، وعند تقاطع طريق السويس - الإسماعيلية مع طريق « أبو سلطان » وقع فى كمين إسرائيلى ، واستشهد القائد ، وتوقف التقدم حتى يعاد تنظيم القوات . وخلال هذه الفترة قفز عدد من الجنود إلى حفرة عميقة فى أرض المعركة ، لتحميهم من نيران العدو ، التى استمرت بشدة من الدبابات وقنابل الطائرات ، ووجدوا معهم فى طاقة صغيرة فى الحفرة عصفورة خائفة مذعورة ، ولم تحاول الطيران بعيدًا عنهم لأنها شعرت أنهم مثلها يحتمون من النيران ، ولاجئون لرحمة الله ، نظر الجنود للعصفورة والتى بادلتهم النظرات ، فهمس الجندى فى أذن زميله : « هل ترى هذه العصفورة إنها تسبّح الله . . فهيا بنا نقرأ آية الكرسى ، ونسبّح الله عسى أن يحمينا ويحفظنا » . ولما هدأ الموقف وانتهى صوت النيران ، طارت العصفورة فى اتجاه الغرب بعيدًا بعيدًا عن ثغرة الدفرزوار ، وكذا باقى الجنود خلفها مسترشدين بها !! فوصلوا سالمين إلى مواقعهم الخلفية . .

من نداء « هع » إلى نداء « الله أكبر »

كنا فى القوات المسلحة المصرية نستخدم نداءً منكراً لإظهار الحماس والقوة عند التجمع أو الاصطفاف ، وعند التدريب ، وعند اقتحام الحصون أو القتال المتلاحم . حتى جندى البوليس فى مصر كان يصيح بهذه الجعجعة « هع » ؛ ليخيف اللصوص وقطاع الطرق ، ويثبت وجوده وهكذا كنّا نفعل فى القوات المسلحة ، وبالطبع فشلنا فى كل الحروب التى استخدمنا فيها هذا النداء ، الذى ليس له أى معنى ، ومازال يستخدمه الشباب فى الكاراتيه للدفاع عن النفس !! وأذكر أن المجاهدين فى أول جولة لنا مع العدو الإسرائيلى فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، كان نداء الله أكبر هو سلاحهم الحاسم ، أثناء الهجوم على المستعمرات اليهودية ، وأثناء القتال المتلاحم مع جند صهيون . وكانت هذه الصيحة القوية سلاحًا فتاكًا يرعب الجندى الإسرائيلى ، ويهز كيانه ، ويزلزل الأرض تحت قدمه خوفًا ورعبًا وأعطت الثقة والأمان والاطمئنان للمنادين بها : الله أكبر الله أكبر . وهذه الصيحة التى انطلقت من حناجر جند مصر أثناء عبورهم قناة السويس واقتحامهم حصون خط بارليف ، وفى قتالهم المتلاحم مع جيش إسرائيل ، كانت تهز الأرض تحت أقدام العدو وتحدث له رعبًا ورهبة ، وشارك فى هذه الصيحة رجال الجيش المصرى مسلمين ومسيحين فى نداء واحد هز الأرض ، وزلزل كيان العدو الإسرائيلى . ولقد سعدت جبهة الجيش الثانى الميدانى فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ ، بعد إيقاف القتال بزيارة للإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وكانت قد سبقته بشائر النصر من الرجال الصالحين فى رؤيا صالحة بالحرب ونتائجها ، شاهدها عدد من الصالحين ، وعدد من المقاتلين ، وهم ليسوا شيوخًا معممين ، بل رجالاً أمنوا بربهم وزادهم الله هدى . وبعد جولات للأمام الاكبر وسط الجنود فى مواقع خط بارليف ، وفى قطاع القنطرة شرق بالذات ، وجه لى سؤالاً عجيبًا بصوته الهادى الرزين المملوء بالإيمان والورع والتقوى : هل هناك أشياء لا معقولة حدثت أثناء الحرب (بقصد حرب رمضان) .

فقلت له بسرعة ، وكأنى كنت أتوقع منه هذا السؤال:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرين

فرد علىّ فوراً أحسنت ، رحمه الله فقد كان رجلا قويًا أمينًا . .

وللحقيقة وللتاريخ ادون ما قاله لى الجنرال السوفيتى باريس رونتسوف ، مستشار قائد

الجيش الثانى الميدانى عام ١٩٧١ ، فى وصفه للجيش المصرى قال الجنرال الشيوعى : « إن جنودكم من ذهب ، فرغم ما يعانيه الجندى المصرى من حياة تقشف ومعيشة صعبة فى الخنادق لفترة طويلة ، وتحت نيران مدفعية العدو وطائراته بصفة مستمرة ، أجده يبتسم عندما يراك وتتحدث معه فى الدين وحب الوطن ، ويطلب منك التصديق له بالعبور للضفة الشرقية . وقد فهمت لغته ولو أنى لا أتكلم أو أفهم العربية !! .

وعن تجاربى كقائد جيش ميدانى أثناء سنوات الاستنزاف الصعبة ، وطول فترات القتال الرهيب ، ومن اللحظات المحيرة التى مررت بها ومرت بها قواتى من بورسعيد شمالاً إلى فايد جنوبًا . . أوكد أن الله كان دائمًا معنا ، وأن جند الله كانت تقاتل معنا ، وأن صيحات الله أكبر نبعت من القلب المؤمن ، وصعدت إلى السماء حاملة رسالة إلى الله تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الروم ٤٧]

صدق الله العظيم

من شهداء العقيدة

اللواء أ. ح مهندس أحمد حمدى عبد الحميد

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾

« ٢٣ الاحزاب »

ولد فى ٢٠ مايو ١٩٢٩

تخرج من كلية الهندسة يونيو ١٩٥١

خدم فى القوات المسلحة بسلاح المهندسين من ١٨ أغسطس ١٩٥١

فاز الشهيد أحمد حمدى بمرتبة الشهداء ، قبل أن توافيه منيَّته يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد كان قدوة فى الخلق العظيم والاخلاص والوفاء النادرين عاش تحت مظلة الإيمان العميق بالله والوطن ، وخدم تحت قيادتى فترة ما قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وإننى لأفتخر بأنى كنت

فى يوم من الأيام قائداً لمثل هؤلاء الرجال الأوفياء ، تراه بين رجاله قدوة فى طهارة القلب والنفس واليد واللسان ، رحيمًا بهم وبنفسه ، مملوءًا باليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا وأحببت فيه قربه من الله فى عمله فى تصرفاته . . . . في كلماته . . . فى نظرته . . . في عباراته أحببته والله حب الوالد لولده وأخيه ورفيق سلاحه ، ضحى بنفسه فى منطقة العمل على قناة السويس ، حيث ظل هو ورجاله فى عمل متواصل لتجميع براطيم كوبرى العبور إلى الشرق ، تحت نيران مدفعية العدو وقصف طائراته ، حتى أصابته إحدى الشظايا المتطايرة من قصف العدو ، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية ، بعد أن فارقت جسداً طاهراً حملها فى الحياة الدنيا مؤديا واجبه نحو ربه ووطنه ، وهو الآن مع الصديقين والشهداء عند ربهم يرزقون . رحمك الله يا أحمد .

المرآة الضاحكة الباكية

تقديم

عندما ينظر المحلل العكسري في مرآة تقييم حروب مصر المعاصرة - خلال هذا القرن - يجد أن كل الحروب التي خاضتها مصر رغمًا عنها أو بهواها ، حروب محيرة في أسلوب الاشتراك فيها ، والقرارات السياسية التي أجبرت القوة العسكرية على خوضها ، بصرف النظر عن درجات استعدادها أو إعدادها قياديًا أو تدريبيًا ، ومن ناحية التخطيط واتباع مبادئ الحرب المعروفة والمدروسة وكذا الروح المعنوية للقوات والموقف النفسي للشعب المصري ، وآثار هذه الحروب على اقتصاديات مصر وإمكانياتها . .

وبصفتي جندي من أبناء مصر ، أنظر إلى هذه الحروب بعين اليقين ، وأنا بها على علم اليقين . وقد اشتركت فيها كقائد عسكري من قائد فصيلة إلى قائد جيش ميداني ، وعايشت كل أحداثها ، وأعلم درجات الإعداد لها ، وكذا رباط الخيل لعناصرها وتشكيلاتها ، والصراعات التي دارت بين القيادات السياسية والعسكرية وبين القيادات العسكرية نفسها ، وعايشت أساليب إدارة الصراعات العسكرية ، في كل الحروب - سواء من ناحية القيادة السياسية أو القيادة العسكرية - بحق اليقين ، وأشعر أنها حقًا حروب محيرة .

ففيما بين عام ١٩٤٧ و ١٩٦٧ استكملت إسرائيل بناء الدولة الصهيونية ومؤسساتها بعد أن كانت قد أقامت أولى تلك المؤسسات - الجيش - قبل ذلك بأربع حقب ، فكانت بذلك هى الوحيدة بين الدول التى ظهر جيشها إلى حيِّز الوجود قبل أن يقوم كيان الدولة نفسه ، وذلك على نحو ما يوضحه الجدول التالى :

المنظمات العسكرية الصهيونية

م	الاسم	تاريخ الانشاء	المكان	الحجم	ملاحظـــــات
١	بارجيورا	١٩٠٧	فلسطين	١٥٠٠	ظهرت قبل قيام الدولة بنصف قرن
٢	هاشومير هاتسعير	١٩٠٧	فلسطين	٢٥٠٠	تعنى الحارس الشاب
٣	نيلى	١٩١٥	فلسطين	٣٥	أول جهاز مخابرات عسكرية
٤	كتيبة النقل بالبغال	١٩١٥	الحمّام	٧٥٠	اشتركت فى حملة غاليبولى
٥	الفيلق اليهودى				حارب مع اللنبى فى فلسطين
	كتيبة البنادق ٣٨	١٩١٦/٨	برج العرب	٨٠٠	استولت على نابلس عام ١٩١٨
	كتيبة البنادق ٣٩	١٩١٧/٦	برج العرب	٩٥٠	استولت على الصلت عام ١٩١٨
	كتيبة البنادق ٤٠	١٩١٨/٢	التل الكبير	١٠٠٠	قامت باعمال حراسة
	(ثم جمع هذا الفيلق فى القوة اليهودية من ٢٢ ألف مقاتل)				
٦	الهاجاناه	١٩٢١	القدس	١٠٠٠٠	تعنى « الدفاع »
٧	الارجون تسفاى لبومى	١٩٣١	فلسطين	٢٥٠٠	ضم عصابة شتيرن
٨	النوطريم	١٩٣٦	فلسطين	٣٥٠٠	تحول إلى البالماخ ١٩٤١ (الصاعقة)
٩	الدوريات الليلية	١٩٣٨	فلسطين	٢٠٠٠	أنشأها ودربها أورد وينجيت
١٠	اللواء اليهودى	١٩٤٤/٩	برج العرب	٨٠٠٠	قاتل فى مسرح ايطاليا تحت علم نجمة داود
١١	جيش الدفاع	١٩٤٨/٥	فلسطين	٦٧٠٠٠	الاسم المختصر « إتزل »

(وقد أعلن بن جوريون يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ عن ضم جميع المنظمات العسكرية الصهيونية فى جيش الدفاع الذى بلغ عدده ١١٠ ألف مقاتل فى أكتوبر ١٩٤٨)

ويكشف الجدول السابق عن حقيقة قد تثير دهشة البعض ، فهذا هو ثانى أقدم جيش فى المنطقة بعد جيش مصر الذى أنشأه محمد علي باشا فى مطلع القرن التاسع عشر ، وليس كما قيل لنا ونحن نتوجّه إلى مسرح فلسطين فى صيف عام ١٩٤٨ إنها مجرد نزهة إلى تل أبيب لتأديب بعض العصابات الصهيونية .

ولقد دفعت إسرائيل ثمن إنشاء وتسليح وتدريب هذا الجيش بانتهاج استراتيجية الغرب ورعاية مصالحه ، والعمل كوكيل احتكارى لأطماعه الرأسمالية ، واستخدمت فى تطبيق كل ذلك أساليب مبتكرة ترمى إلى زيادة الفرقة بين حكام العرب ، وتشجيع وباء الانقلابات العسكرية وتكرارها ، مع إثارة القلاقل ، وشن الإعتداءات التى تستنزف جهد واقتصاد الدول العربية المحيطة بفلسطين وتفسد خططها التنموية ، توطئة لمنحها المعونات الاقتصادية السخيّة لتشجيعها على الاعتماد على الغير ، والتراخى فى تنفيذ خطط التطور والتنمية الذاتية الوطنية ، والركون إلى الحلول السهلة والنجدات من الخارج لإقالة إقتصاد الدولة من عثراته ، مقابل الخضوع لما تراه الدول المانحة مناسبًا لمصالحها الخاصة ، حتى وإن كان يحمل إجحافًا أو إضرارًا بمصالح تلك الدول طالما أنها قد قبضت المنح وارتضت الاستمرار فى تلقّيها .

وقد ترتب على ذلك دخول مصر وبعض الدول العربية فى الحلقة المفرغة « للمشكلة الفلسطينية » ، التى سرعان ما تجاوزت مداها السياسى والديموجرافى والقانونى لتصبح « مشكلة الشرق الأوسط » بعد عدوان صيف عام ١٩٦٧ ، ووقوع ثلاثة أمثال مساحة فلسطين من أرض مصر والأردن وسوريا تحت نير الاحتلال الإسرائيلى .

وبعد أن كان الهدف إنقاذ عروبة فلسطين أصبح إزالة آثار العدوان على تلك الأرض السليبة الجديدة . ولم تكد اللاءات الثلاث تصدر عن الخرطوم حتى تصدت لها لاءات تل أبيب الأربع . . . لا انسحاب قبل التطبيع ، ولاعودة للاجئين الفلسطينين ، ولاتعويض لأملاكهم ، ولامفاوضات إلاّ مع كل دولة عربية على حده !

ورغم قبول تلك الاشتراطات الجارحة - التى سبق للعرب أن أكدوا رفضها حتى آخر الدهر - فقد استمرت إسرائيل وسدنتها على توفير التفوّق النوعى لقدراتها القتالية على كافة الدول العربية حتى لايكون لتعداد سكانها الهائل وزنه العددى فى مقارنات القوى ، فتظل الهيمنة وبالتالى السيطرة على مقدرات المنطقة لحفظ مصالحها ومصالح الغرب الرأسمالى مكنولة ومؤمّنة ، كيف لا وهو يتغافل عمدًا عن انفرادها بالسلاح النووى فى الشرق الأوسط ، بينما

يلاحق غيرها من الدول العربية بالتهديد والوعيد لمجرد امتلاكها لفاعل واحد لايعمل إلاّ فى الأغراض السلمية البحتة !

وفيما يتعلّق بالحروب التي حدثت قبل الحرب العالمية الثانية .. فقد درستها ، وحلّلت أحداثها بقدر ما أمكنني ، ولن أخوض فيها بعمق هنا ، ولكني سأحاول وضع صورة حية وحقيقية لما قرأت وعلمت وحللت واستنتجت ..

وسيكون تحليلى كمرآة لتقييم هذه الأحداث مبني على سبع نقاط هامة ، اعتبرها عماد إعداد القوى ورباط الخيل لتحقيق القوة الذاتية وتحقيق المثل القائل إن (الغلبة للأكثر نفيراً) .

النقطة الأولى تمثّل **القائد القدوة** في حروب مصر المعاصرة ، وإدارة الصراع ، وإدارة الرجال

والثانية البحث في **أعماق العقيدة الإيمانية الصادقة** للمقاتل كقائد أو جندي مقاتل أو إداري أو فني .

والثالثة **الوطنية الصادقة** وحب مصر والولاء للقائد .

والرابعة **معرفة العدو** ودراسة عاداته وتقاليده وأسلوب عمله وقتاله وأخلاقياته .

والخامسة **سلوك أدب الحرب والانضباط العسكرى** ، وكيف كان .. وكيف أثرّ على مسيرة الأحداث .

والسادسة **العلم كسلاح والمعرفة كرأس** مال لمن يريد أن يكون قويًا أمينًا .

والسابعة **الإعداد الواقعي والتدريب المستمر** وكيف كان .

وسنقسم فترات التقييم إلى الفترات التالية :

١- فترة ما قبل الجولة العربية الإسرائيلية الأولى وأثناءها وما بعدها .

٢- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الثانية (العدوان الثلاثي ١٩٥٦) والحرب .

٣- فترة مساعدة الثورة اليمنية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ .

٤- فترة العدوان الإسرائيلي ٥ يونيو ١٩٦٧ (الجولة الإسرائيلية العربية الثالثة) .

٥- فترة حرب السنوات الثلاث ١٩٦٧ - ١٩٧٠ (حرب الإرهاق) .

٦- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (الحرب والسلام) .

١- فترة ما قبل الجولة العربية الإسرائيلية الأولى وأثناءها وما بعدها :

تقديم

احتلت بريطانيا مصر منذ عام ١٨٨٢ - حيث كانت الحكومة البريطانية قد قررت في ٢٧ يوليو ١٨٨٢ إرسال حملة إلى مصر ، وتم في ٢٠ أغسطس احتلال قناة السويس والإسماعيلية ، وفي ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ انتصر الجيش البريطاني في معركة التل الكبير . وفي اليوم التالي احتل الإنجليز القاهرة ، ثم في ١٩ منه أصدر الخديوي أمره بإلغاء الجيش المصري . . واستمر احتلالهم للقطر المصري بالكامل حتى عام ١٩٥٤ . وخلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر ، سيق الجيش المصري إلى الإشتراك في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ حتى عام ١٩١٨ ، وفي الحرب العالمية الثانية ما بين عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ ، ثم في حرب فلسطين الذي خططتها القيادة البريطانية من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى فبراير ١٩٤٩ . وللأسف لم يحصل الجيش المصري على أي خبرة قتال ، ولا مارس فن القيادة والسيطرة ووضع الخطط وإدارة المعارك . . . واستطاع الربان البريطاني قيادة دفة السفينة المصرية ، حسب هوى الإمبراطورية البريطانية ، وتحقيقًا لإستراتيجيتها وسياستها ، وكانت لعبة العرائس مع الدسائس وشراء الذمم ، هي التقييم الواقعي لتاريخ هذه الفترة من حروب مصر المحيرة .

وكنا في سنوات عمرنا الأول نحارب بريطانيا بالكلمة واللسان ، مع الدعاء (يا عزيز يا عزيز كبة تاخد الإنجليز) وكانت الحرب العالمية الأولى مجالاً لتدريب الشعب المصري عامة ، والجيش المصري خاصة على أعمال السخرة لخدمة الجيوش البريطانية المحتلة لمصر والحامية لها . ولا يمكن تقييم هذه الفترة كفترة يذكرها التاريخ في إعداد القوى المصرية . ولما أعلنت الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر أيضًا تعيش تحت الاحتلال البريطاني ، ولم يشترك الجيش المصري اشتراكًا فعليًا في الحرب العالمية الثانية ، ولو أن معارك كثيرة دارت في صحراء مصر الغربية . . غير أن المدفعية المصرية المضادة للطائرات مع الأنوار الكاشفة التي اشتركت فعلاً في القتال لحماية سماء مصر مثل القاهرة والإسكندرية ، واكتسبت خبرة قتال ، وتمرست في عملها ، وأتقنته . وكذلك بعض وحدات المشاه ومدافع المكينة ورجال الحدود والسواحل ، ولكنها لم تحصل على خبرات قتال لها قيمتها إلا النذر اليسير . .

وكان قتالنا الأول مع اليهود على أرض فلسطين قتالاً مخططًا لنا باليوم والساعة ، كما تحدَّد تحركنا إلى مناطق معينة ، وخاض الجيش المصري معارك كثيرة مع اليهود في البر والبحر والجو

وجهًا لوجه - فتعلمنا وحاولنا النجاح . ولكن قيادتنا - في معظم الأحيان - أغفلت مبادئ الحرب المعروفة ، وكذا أسلوب القتال ، والتكتيكات المدروسة ، والخطط المحسوبة ، فتخبَّطت في قراراتها وأوقعتنا تصرفاتها فى حيرة فكان ما كان . .

وحقيقة الأمر أنه ظهر بين القادة من هم قدوة فعلاً في فن القيادة وإدارة الرجال والشجاعة والإقدام ، ولكنهم قلة قد اعتبرتهم القيادة الأعلى أو القيادة السياسية المصرية الإنجليزية غير مرغوب فيهم بين ضباط الجيش المصري . . وعن العدو الإسرائيلي فلم ندرس عنه بالطبع - قبل معركة فلسطين ، ولا أثناءها أو بعدها - دراسة تمكننا من تقييم عدونا التقييم السليم ، فدخلنا معركة فلسطين وخرجنا منها ، وما زال العدو الإسرائيلي كلغز غامض أمامنا ، وما زال جدار الخوف قائمًا . .

وحتى أدب الحرب لم تعلمه لنا حرب فلسطين بالطريقة السليمة الجادة ، وبالطبع لم تكن لنا في أعمدة القوة أهمية تذكر في بناء قوتنا الذاتية ، وما زال رباط الخيل يتحكم فيه ، المحتل يحرك قواتنا إلى المناطق التي يراها تخدم مصالحه ، ولا تخدم ذاتنا . وحتى الملك فاروق . . فإنه كان يخشى الوحدات العائدة من فلسطين وقد حطمتها هزائمها مع اليهود وعدم الاهتمام بمعنوياتها أو قدراتها أو حتى طعامها ، فأمر بأن توزع على جبهات بعيدة عن القاهرة ، وأرسل قادتها إلى أماكن أخرى حتى لا تكون رابطة الدم والقتال والتضحية سببًا في تآلف القلوب وتوجيه النفوس إلى خطر محتمل يصيبه ، مهما طال الزمان !!

٢- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الثانية (العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦) والحرب :

استطاعت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن تزيل عن كاهل مصر كابوس الاستعمار البريطاني الرهيب ، ورحل آخر جندي أجنبي عن مصر عام ١٩٥٤ . وبدأت القيادة المصرية في تحقيق أحد عناصر البناء الضرورية ، وهو تكوين الجيش الوطني القوي ، وخطت مصر مسيرة التحوُّل من عصر الاستعراضات والشعارات إلى عصر العلم والعمل ، وصدر شعار جديد للثورة وهو الاتحاد والنظام والعمل . ولكن يد الاستعمار ما زالت تمسك ببعض خيوط من الصلب تقيد بها هذه النهضة ، فجاءت بعدوان ١٩٥٦ الثلاثي ، وتمكنت إسرائيل من احتلال شبه جزيرة سيناء كلها ، ورغم هذا . . فقد سجل التاريخ ملاحم بطولية لوحدات مصرية ، قاتلت بشجاعة وإقدام وتضحية ، أوضحت إمكانيات صمود الجندي المصري ، عندما يجد القائد القدوة في القوة والأمانة . ولكن نقطة الضعف ما زالت موجودة كما شاهدناها في مرآة عام ١٩٤٨ بالانسحاب

غير المنظَّم وغير المخطط من قبل . . ولكن ما زال في القاعدة أعمدة القوة التي يمكن أن تقيم الهيكل المتين لإعداد القوى ورباط الخيل ، فقد ظهرت مشاعر الحب الجارف لمصر والتخطيط والتدريب والتصرّف بعلم ومعرفة في بعض عمليات قواتنا وخاصة في ممر متلا وأبو عويقيلة ، وفي المقاومة المستميتة للغزو الانجلو فرنسى لبورسعيد .

أمّا خطط العمليات الحربية الدفاعية عن سيناء عام ١٩٥٦ . . فقد وضعت دون تقدير موقف لاحتمالات التدخل الأجنبي مع العدو التقليدي، كما أغفلت مبدأ هامًا من مبادئ الحرب ، وهو السلامة ، ولم يخطط للإنسحاب المحتمل ليكون إنسحابًا منظمًا يحقق الكر والفر والقتال المتكافئ على وثبات مناسبة للخلف.

٣- فترة مساندة ثورة اليمن ١٩٦٢ - ١٩٦٧ :

أراد الله سبحانه وتعالى أن نخوض تجربة حرب محيِّرة حقًا حيث لم نكن نعرف العدو من الصديق . وكانت القيادة السياسية هي التي دفعت بالقوات المسلحة المصرية إلى اليمن بدأتها بوحدات قليلة من الصاعقة والمظلات ، وتحولت بعد أشهر قليلة إلى ميدان قتال ضخم ، ضم أحجامًا كبيرة جدًا من القوات المسلحة المصرية . . . والحقيقة أن اليمن اليوم - ونحن في نهاية القرن العشرين - تشهد تقدمًا رائعًا في كل المجالات بفضل مساندة القوات المصرية المسلحة لثورتها في سبتمبر ١٩٦٢ ، ولكني كجندي اشتركت في الحرب مخططًا ومقاتلاً . . أقرر أن القوات المصرية المسلحة البرية والجوية والبحرية - وحتى رجال الحدود والسواحل - خسرت كثيرًا في هذه الفترة الطويلة في اليمن التى ناهزت الخمس سنوات ، خسائر ليس في الأرواح فقط أو المعدات بأنواعها ، ولكن في فقد خبرة القتال الحقيقية لمعركة الأسلحة المشتركة ، وفقد كفاءة وقدرة القائد والجندي والمعدة . وكانت نتائجها السلبيّة المدمرة هي ما حدث في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى الصراع الذى اشتعل على القمة ، وصراع القيادة الحربية مع القيادة السياسية ، والآثار النفسية على الضابط والجندى ضحية هذا الخلل .

فقد كان الجيش المصري يمتلك دبابات سوفيتية من طراز ت ٥٥ ، ت ٥٤ وناقلات جنود مدرعة ومدافع هجومية أس يو ١٠٠ ، وعدد كبير من الدبابات ت ٣٤ القديمة ولكنها تصلح للقتال . . خلاف القوات الجوية والطائرات ميج ١٧ ، ميج ١٩ ، ميج ٢١ ، تي يو ١٦ والأسلحة البحرية من مدمرات وغواصات . . إلخ . وبالطبع كان لحرب اليمن تأثير كبير على الكفاءة الفنية لهذه الأسلحة والمعدات بدرجة كبيرة ، أفقدتها كثيرًا من إمكانياتها الفنية .

ورغم علم القيادة العسكرية المصرية ، وكذا الزعامة السياسية - بالطبع - بضعف الكفاءة الفنية لهذه الأسلحة والمعدات والتأثير النفسي على الفرد المقاتل ، وعلى أفراد الشعب المصري . . فقد اتخذت أسلوبًا في تعبئة القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ على أساس غير سليم ، فأمرت بتشكيل وحدات مقاتلة على عجل ، وعينت لها قادة جدد قبل تحرك هذه الوحدات إلى جبهة القتال في سيناء بيوم واحد أو أقل وبعض القادة لحقوا بوحداتهم الجديدة في الجبهة مباشرة . ومن المؤسف حقًا أن بعض الوحدات المقاتلة دفعت إلى جبهة القتال بالملابس المدنية !! وكانت الحجة في ذلك هى كسبًا للوقت !!

وغاب التنسيق والتنظيم بين عناصر القوات المسلحة بعضها البعض ، أو في داخل التشكيلات المقاتلة . وكذلك لم يكن هناك تنسيق عربي متكامل بين القوات المصرية والقوات العربية الأخرى سواء القوات السورية أو الأردنية . وللتاريخ لم يتم التنسيق بين مصر والأردن إلا يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، كما لم تتخذ خطوات إيجابية لتنفيذ هذا التنسيق . . فمثلاً لم يصل الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان القيادة الشرقية ، ومسئول الاتصال والتنسيق إلى الأردن إلا قبل يومين من ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وحتى كتائب الصاعقة التي أرسلتها مصر إلى الضفة الغربية لنهر الأردن اتخذت محلاتها هناك قبل ٢٤ ساعة فقط من بدأ القتال المفاجئ ، وكان واجبها العمل ضد مؤخرة القوات الإسرائيلية في المناطق الساحلية . وللأسف أنها لم تستطع القيام بمهامها بكفاءة ، حيث إنه لم يكن لديها الوقت الكافي للاستطلاع والإعداد للعمل في هذه المناطق الجديدة عليها !!

- في تقدير رسمي لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية . . أشير إلى أن جميع فرق الجيش المصري لم يصل تدريبها حتى ١٩ / ٥ / ٦٧ ، إلا إلى مستوى الكتيبة في الدفاع (مستويين أقل من المفروض) ؛ أي أنها رغم ممارسة الحرب في اليمن واحتمالات الحرب ضد إسرائيل قريبًا لم تكن قد تدربت على الهجوم من قبل !!

٤- فترة العدوان الإسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ :

كانت الخطة المصرية « قاهر » هي الخطة التي وضعتها هيئة عمليات القوات المسلحة ، وصدَّق عليها القائد العام للقوات المسلحة وهو نائب القائد الأعلى . . وكانت المفاجأة أن ما خطط وتصدق عليه شيء وما نفذ شيء آخر !! فقد عدَّل المشير عبد الحكيم عامر في كثير من أعمدة هذه الخطة المدروسة ، فاهتزت وتشققت وتفتتت ثم انهارت !! فقد شعرت - كقائد

مسئول عن قطاع حيوي من شبه جزيرة سيناء - بأننا في مظاهرة عسكرية دعائية ، وليست تعبئة حربية حقيقية أو حتى خداعية ، لتوهم العدو بأننا تأهبنا للهجوم هنا وليس هناك . . بدأت تلك القصة مساء يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ ، وكنت قائدًا لوحدات المظلات ، وكلفت شخصيًا بمهمة تأمين شرم الشيخ وخليج العقبة ، اعتبارًا من أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ ، رغم أن قوات الطوارئ الدولية كانت موجودة بالمنطقة تزاول مهامها هناك . .

وكان هذا التخطيط ضمن خطة الحشد الضخمة ، التي بدأت في سيناء بناءً على تقدير موقف يعتمد على احتمالات التدخل السوري والأردني ضد القوات الإسرائيلية ، وأن هذا سيحول دون هجوم إسرائيلي رئيسي كامل ضد مصر بجبهة سيناء . وكانت القوات المصرية المشتركة في الخطة (قاهر) ، موزعه بين جبهة القتال في اليمن وجبهة القتال في سيناء ، إذ كان باليمن في ذلك الوقت حوالي ٥٠ ألف مقاتل ، بينما تحرَّك إلى سيناء حوالي ١٠٠ ألف مقاتل في وحدات كثيرة أعيد تشكيلها بسرعة بعد عودتها من اليمن . وحتى الضباط الأصاغر أسرعت القيادة العامة للقوات المسلحة في تخريج دفعات من الكلية الحربية ، غير مكتملة النضج العسكري أو التدريب القتالي ، وأرسلوا إلى جبهة القتال مباشرة دون تطعيم للمعركة ، مما أحدث بهم خسائر جسيمة وهذه نقطة ضعف عندما نقيم هذه القيادة المسئولة التي لم يكن لديها القدرة على التخطيط المبكر السليم لإعداد القوى بأسلوب قوي أمين . . وإذا عدنا إلى الخطة قاهر - كما خططت - نجد أنها اعترات بكثرة التعديل بأوامر القائد العام للقوات المسلحة بالتليفون أو اللاسلكي أو بمندوبيه الذى كان يرسلهم بأوامره المتناقضة إلى القادة فى الميدان . .

وما كادت بعض الوحدات تصل إلى مواقعها ، التي تقررت من قبل في الخطة قاهر حتى صدرت إليها أوامر القيادة العامة - وليست أوامر قيادة الجبهة - بالتوجه إلى مكان آخر غير مخطط في الخطة قاهر ، وغير مستطلع من قادة هذه الوحدات . وأوضح مثال ما حدث معي كقائد لوحدات المظلات التي كانت لها مهمة محددة في الخطة قاهر ، وكنا مدربين عليها ، وتم استطلاع القادة لمواقعهم بها ودراسة دورهم ودور وحداتهم لتنفيذها . ولكن في ١٩ مايو ١٩٦٧ صدرت أوامر المشير عامر لى شخصيًا بانتقال كل وحدات المظلات الموجودة بالأرض المصرية إلى شرم الشيخ جوًا بمهمة مبهمة ، لم تكن في الحسبان ، على أن يتم الوصول إلى أرض المهمة مع أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ (أى حوالي ٧ ساعات فقط للاستعداد والتحرك والوصول)

وكان اللواء الرابع المشاة هو المكلف في الخطة قاهر بتنفيذ هذه المهمة ، وصدرت له فعلاً

الأوامر بالتحرك إلى شرم الشيخ ، وفي الطريق صدرت له أوامر أخرى بالعودة إلى السويس - غرب قناة السويس - ثم صدرت له أوامر أخرى شتتت وحداته الفرعية . . . حيث ذهب كل في اتجاه !!

وتكونت قيادة قوات شرم الشيخ تحت قيادتي من وحدات غير متجانسة من عناصر جوية وبحرية ودفاع جوي ومدفعية ساحلية وحدود وقوات مظلات ، دون تنسيق أو تعاون أو حتى تعارف بينهما . . فكيف يمكن التنسيق بين هذه الوحدات بعضها البعض وهي تصل تباعًا إلى المنطقة ، وما على القائد إلا تعيين مهمتها ومحلات تمركزها فى تلك المنطقة المتسعة ، حيث الاتصالات لا تحقق القيادة والسيطرة السليمة . .

وللأسف الشديد أنني وصلت إلى منطقة شرم الشيخ ، ولم تمدني القيادة العامة بأيَّة معلومات عن **العدو الإسرائيلي** ، واحتمالات تحركاته وأعماله في البر أو البحر أو الجو ، بالإضافة إلى أية معلومات عن الأرض التي يحتمل أن أقاتل عليها . والتى لم يتوفر لدى معلومات مسبقة عنها ، ولم يسبق لي استطلاعها من قبل ، وكذا أكثر من ٨٠ ٪ من قواتي ، والقوات التي وضعت تحت قيادتي .

ولم أفكر مسبقًا في خطة لانسحاب قواتي من هذا القطاع الكبير ، ولكنى تذكرت أحداث ١٩٥٦ ، وما حدث فيها لقوات شرم الشيخ ومشاكلها الإدارية والفنية وغيرها وطرق اقتراب العدو لمهاجمتها وأسلوب الدفاع السليم عنها ومصادر المياه المنعدمة وطرق الاقتراب القليلة وخلافه ، وهذا أعطاني تصورًا أوليًا للموقف ، فركزّت من أول يوم على تأمين الاكتفاء الذاتي للقوات ، كل في موقعه أو مركبته أو عربة قتاله أو معه ، ما لا يقل عن ثلاثة أيام مياه وطعام وذخيرة ووقود وزيوت وشحوم وغيرها ، وتم تنفيذ هذه التعليمات بدقة تامة ، كان لها أثر كبير في تسهيل انسحاب قواتي للغرب .

ورغم وجودى على رأس قوة منفصلة في جبهة سيناء التي تقودها قيادة ، تسمى قيادة الجبهة ، إلا أنني لم أكن على اتصال بهذه القيادة ، وكانت كل اتصالاتي بواسطة أجهزة لاسلكية دبرتها القيادة العامة للقوات المسلحة للاتصال مباشرة بالقاهرة ، ولم تحاول قيادة الجبهة الاتصال بي أو إرسال ضابط اتصال للتنسيق معها . وكانت الأوامر والتعليمات تأتينى مباشرة من المشير عامر ، عبر إشارات شفرية ، أو بواسطة ضباط اتصال من مكتب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة . . وخلال ساعات قلائل من وصولي ، زارني رئيس أركان

القوات المسلحة ، وكثير من القادة الكبار بأوامر المشير عامر لتذليل كل الصعاب وحل كل المشاكل . .

وعندما وضعت قراري لتنفيذ المهمة ، جاءني ضابط اتصال القائد الأعلى لأخذ القرار لتصديق المشير عليه بالقاهرة ، وعاد في اليوم التالي المقدم أ ح / إبراهيم العرابى ، ومعه ملاحظات المشير على قراري فقمت بتعديله . وللأسف كنت أضطر لتعديل القرار يوميًا لوصول وحدات جديدة ، لم تكن في الحسبان ، بل ولم نكن في حاجة إليها . وكنت أرسل رسائل كتابية إلى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ، موضحًا بها قراري وخططي ، وكان يرسل لي ملاحظات عليها ، وكان هذا الإجراء مني استكمالاً لمبدأ القيادة والسيطرة وتنسيق الخطط مع باقي قطاعات جبهة القتال ، عن طريق هيئة العمليات .

ومرَّ يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ علينا ، ونحن في قطاع شرم الشيخ لا ندري عن العدوان شيئًا ، اللهم إلا أننا سمعنا إذاعة القاهرة تذيع بلاغات عسكرية !! وفي يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وصلتني تعليمات الانسحاب إلى الغرب على مرحلتين وليلتين إلى الطور كمرحلة أولى ثم الغرب . . وتم التنفيذ والحمد لله .

وبالطبع . . يصعب عليّ التعليق على ما حدث ، وسأترك للقارئ استنتاج كل عوامل الهزيمة من هذا المثل وحده ، وله أن يحكم ويتفهم الموقف . غير أن هناك موضوعًا واحدًا يجب تأكيده ، وهو أن العملية كانت مظاهرة عسكرية دعائية ، وثبت هذا عندما أرسلوا لنا بعثة الإعلام الكبرى من إذاعة وتليفزيون وسينما لتصوير عملية تحرك قوات بحرية تحمل دبابات ومشاة ، لإبرارها في منطقة شمال شرم الشيخ وكان هذا حقًا مدعاة للعجب !!

ثم تبقى كلمة عما اتَّصفت به تلك الجولات الثلاث سالفة الذكر من سمات رئيسية على نحو ما توضحه القائمة التالية :

السمات الرئيسية لثلاث جولات عربية إسرائيلية
ديسمبر ١٩٤٧ - يونيو ١٩٦٧

العرب	إسرائيل والصهيونية العالمية
١ - غياب الغرض النهائى والإختلاف على الأهداف المرحلية التى يكون الهدف الأقصى من الجولة التالية هو إستعادة بعض خسائر الجولة السابقة .	وضوح الغرض النهائى (الهيمنة على المنطقة وفرض السلام الإسرائيلى عليها) ، مع تحقيق الأهداف المرحلية « باستراتيجية القضمات » « الخرشوفية » فى جولات متتالية بحيث يكون الهدف الأقصى للجولة السابقة هو الأدنى للتالية .
٢ - ضعف ، وأحيانًا أنعدام التنسيق بين القيادتين السياسية والعسكرية .	الإندماج الكامل بين القيادتين السياسية والعسكرية فى الدولة .
٣ - غموض مذهب الحرب ، وعدم ملاءمة التطبيقات الميدانية لظروف حرب الصحراء .	صك مذهب حرب ينسجم مع إمكانيات الدولة وطبيعة المسرح
٤ - إهمال استراتيجية العمل من خطوط خارجية فى وقت واحد لشغل العدو على كافة الجبهات .	الالتزام باستراتيجية العمل من خطوط داخلية لهزيمة الأعداء الواحد تلو الآخر .
٥ - تعبئة جزئية ضئيلة تظل معبأة لمدد طويلة دون داع - قبل وبعد الجولات .	تعبئة الدولة للحرب فى آخر لحظة ممكنة ثم فك التعبئة بأسرع ما يمكن بعد إنتهاء الجولة
٦ - إعداد جزئى للمسرح وقلب الدولة .	إعداد وتجهيز للمسرح وكل الدولة
٧ - قلّة المعلومات عن العدو ، وعدم صحة بعضها .	دقة المعلومات عن العدو ومتابعتها أولاً بأول .
٨ - الإنزلاق إلى القتال فى ظروف دولية ومحلية غير مناسبة مع تخطيط متعجّل مبنى على معلومات غير دقيقة ، وعدم تدريب القوات مسبقا على المهام الموكلة إليها قبل الزج بها فى القتال .	إنتهاز أفضل الظروف العالميّة والمحليّة لشن الجولات ، ووضع خطط مسبقة التجهيز بناءً على معلومات دقيقة وظارجة ، وتدريب مكثف ومتواصل على المهام الموضوعة .
٩ - التنازل عن المبادأة والوقوع فى القتال دون غطاء جوى .	الإصرار على إنتزاع المبادأة ، والحصول على السيطرة - وأحيانا السيادة الجوية

تابع السمات الرئيسية لثلاث جولات عربية إسرائيلية
ديسمبر ١٩٤٧ - يونيو ١٩٦٧

العرب	إسرائيل والصهيونية العالمية
١٠ - الحصول على ما هو متيسّر من السلاح حتى ولو لم يناسب طبيعة المسرح أو شكل التكتيك المعتمد .	تدبير أحدث وأنسب الأسلحة والمعدات التى تناسب المهام المرسومة فى خطط مسبقة التجهيز .
١١ - الاعتماد على حلفاء يهمهم ألاّ يحقق العرب نصراً كبيراً حتى لا تنتفى حاجتهم إليهم .	الاعتماد على حليف يعتبر نصر إسرائيل ضمانة أكيدة لزيادة نفوذه فى المنطقة .
١٢ - جسور إمداد من الخارج تهدف إلى وقف الإنهيار التام فى المسرح وليس تحسين موقف القتال .	جسور الإمداد تحرص على ألاّ ينهزم السلاح الأمريكى فى المسرح وأن يتحقق النصر بأسرع وقتل وأقل تكلفة .
١٣ - إهمال دراسة الجولات السابقة لاستنباط الخبرة واكتساب المهارة من الدروس المستفادة ومعالجة نقط الضعف ومضاعفة نقط القوة .	الاهتمام الزائد بدراسة الجولات ومحاسبة المخطئ ودفع من أبدى كفاءة ميدانية عالية لتولى القيادات الأعلى فى الجولات القادمة ، وتطوير الخطط والتسليح ومذهب الحرب من واقع الخبرات المستنبطة من الجولات السابقة .
١٤ - حجب المراجع وتعطيل الإصدارات التى تعالج الجولات (٧٥ مرجع) .	تنشيط حركة النشر والإصدارات بمختلف لغات العالم عن الجولات السابقة (١٦٣٢ مرجع) علاوة على الأفلام التسجيلية والدعائية الكثيرة .

٥- تقييم فترة حرب السنوات الثلاث :

١٩٦٧ - ١٩٧٠

بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ . . بادرت القيادة المصرية إلى تحليل الطريقة التي يمكن للقوات المسلحة المصرية أن تتغلب بها على التفوق الإسرائيلي ، وعلى جدار الخوف الذي زرعته حروب ٤٨ ، ٥٦ ، ٥ يونيو ٦٧ في نفوس الجنود المصريين ، فبدأت باختيار قادة التشكيلات

والوحدات الأكفأ على جميع المستويات ، وتشكيل الوحدات على أسس علمية سليمة ، وبدأ الإعداد العملي للقوات بالتدريب الجيد والتسليح مع استكمال التشكيلات والوحدات ، وتعديل الأوضاع الدفاعية على طول الجبهة ، وسحب وحدات من مسرح عمليات اليمن إلى الوطن ، وإعادة تنظيمها وتسليحها وتدريبها ، وتحويل عقيدة الريال إلى عقيدة قتال إيمانية صادقة . .

وتكامل تخطيط عملية تحطيم جدار الخوف ، ونقله إلى الناحية الأخرى من التل بعد دراسة الطرق والوسائل لقتال العدو الإسرائيلي ، تحت ظروف لا يستطيعون فيها استخدام تفوقهم الجوي أو مدرعاتهم ، وإنزال أكبر خسائر ممكنة في أرواح جنود قوات الدفاع الإسرائيلي ، ونجحت الخطة منذ أول اشتباك متكافئ وجهًا لوجه بين القوات الإسرائيلية وعناصر من الصاعقة المصرية ، منعت القوات الإسرائيلية من الوصول إلى بور فؤاد شمالاً ، وأوقفتها على بعد حوالي ١١ كيلومترًا جنوبها حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تم تدميرهم والاستيلاء على حصونهم بها . . .

وتمت هذه العملية بنجاح يوم أول يوليو ١٩٦٧ ؛ أي قبل مرور شهر على عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وكذلك نجحت القوات الجوية والقوات البحرية المصرية في عملياتها المخططة أيضًا ، وتطورت اشتباكات المدفعية إلى اشتباكات بالقوات العابرة شرقًا ، والحصول على أسرى من جنود العدو ووثائقه وأسلحة ومعدات . . وتحولت إلى حرب استنزاف وإرهاق كان من أهم نتائجها :

- الحصول على معلومات كثيرة ومؤكدة عن العدو الإسرائيلي ، ولم تكن متوفِّرة قبل ذلك .
- جعلت الحياة في الضفة الشرقية من القناة وفي خط بارليف جحيما لا يطاق .
- تحطيم جدار الخوف ونقله إلى العدو الإسرائيلي .
- بث الروح الهجومية في القوات المصرية .
- التدريب العملي الواقعي وبالذخيرة الحية على عبور قناة السويس ، واقتحام حصون خط بارليف .
- تساقطت الطائرات الإسرائيلية ، وأسر الطيارون الإسرائيليون لأول مرة بعد ثلاث حروب .
- إقامة حائط الصواريخ المصري ، وهو العدو اللدود للقوات الجوية الإسرائيلية .
- اضطرت أمريكا في عام ١٩٧٠ إلى تقديم مبادرتها لإيقاف القتال في ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

وإذا أردنا أن نقيِّم حرب الاستنزاف التقييم الحقيقي . . فعلينا أن نحلل المزايا التى وفَّرتها للقوات المصرية ، وأهمها ما يلي :

- إعادة روح القتال والهجوم إلى المقاتل المصري ، مع الصبر والصمود والشجاعة عنوان الإنسان المؤمن الصادق ، ذى العقيدة الثابته القوية .
- اختبار العديد من أسلحتنا في القتال وجهًا لوجه مع العدو الإسرائيلي .
- كانت حرب الاستنزاف أحسن وسيلة للدفاع ، رغم ما تحملنا فيها من خسائر في الأفراد والمعدات .
- اضطرت إسرائيل إلى إقامة تحصينات واستحكامات خط بارليف تحت الأرض ، ووضع قوات احتياطية مدرعة للدفاع القلق ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ [سورة الحشر ١٤]

وبدأ الشعب الإسرائيلي أيضًا يقاسى من حرب الاستنزاف ؛ خاصة من كثرة الخسائر فى القتلى والجرحى وذوي العاهات من قوات الدفاع الإسرائيلية ، ومن تخلخل الاقتصاد الإسرائيلي وتوقف معظم دولاب الحياة في دولة إسرائيل . .

- وكان من مزايا حرب الاشتنزاف أن شكلَّت وحدات مقاتلة مستقلة ، وجهِّزت قوات الدفاع الشعبي والعسكري ، ودرِّب الطلبة والعمال على القتال ؛ دفاعًا عن الوطن وعن النفس . . وتم فعلاً لهذه العناصر في المدارس والجامعات والمعاهد ، والمصانع التطعيم الفعلي للمعركة ، وهو رصيد اكتسبناه في إعداد القوى ورباط الخيل .

أمَّا عيوب حرب الاستنزاف فهو كثرة خسائرنا في الأفراد والمعدات ، وتعثُّر فترات التدريب ، وارتباك خطط الإعداد للقتال ، كما كان لها أثر كبير على الجبهة الداخلية في مصر ، وكان لها كذلك تأثير في العالم الخارجي خاصة ما نسجته إسرائيل من قصص خيالية عن تعرّض مصر وعمقها .

٦- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة والحرب والسلام :

بعد فترة إيقاف النيران في ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، ورحيل عبد الناصر وبدء عصر السادات . . قررت القيادة الجديدة منذ أكتوبر ١٩٧٠ ، أن تركّز محاور العمل المصري في ثلاث نقاط رئيسية :

١- الصمود .

٢- التعاون مع الاتحاد السوفيتي .

٣- تهديد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

وفي أول اجتماع للقيادة الجديدة بالقادة . . نوقشت مشكلة حرب الاستنزاف وتعارضها مع إعداد القوى والتدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسي ، والكفاءة القتالية للقوات . وكان قائد الجيش الثاني والثالث الميدانيين من أنصار عدم بدء حرب الاستنزاف مباشرة ولكن بعد فترة نحو شهرين ، قد تمتد إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، حسب استكمال قدرة القوات الجوية المصرية وقوات الدفاع الجوي ، وإمكانياتها في حماية التجميع الرئيسي للقوات المسلّحة ، ومعاونة العمليات المحدودة شرقًا . .

وكانت إسرائيل قد اتخذت الدفاع الوقائي منذ أغسطس ١٩٧٠ ، وبنت استراتيجيتها على أساس التفوق الجوي، وللاستفادة بمزايا خطوط وقف إطلاق النيران . .

وقد بدأت القوات المسلحة المصرية في طريق التخطيط السليم ، وتناسب حجم القوات المسلحة مع حجم المهمة وتحقيق الهدف الإستراتيجي ، وهو إزالة آثار العدوان وتحرير أرضنا - بصرف النظر عن التعاون بين الجيوش العربية إن لم يتم - وبنى تنظيم القوات المسلحة على أساس علمي مع تطوير أساليب القيادة والسيطرة ، التي اعتمدت على خبرة الحرب وخبرة القتال .

ومع مطلع عام ١٩٧١ وهو ما سماه الرئيس السادات عام الحسم - كانت مصر قد كسبت معركة إغارات العمق بفضل المعاونة السوفيتية في توفير الأسلحة والطائرات لحماية عمق مصر ، وبدأت الأمور تسير حسب خطة متكاملة شملت أفرع القوات المسلحة جميعها ، ولكن ما زالت الحاجة ماسة إلى الاستطلاع التعبوي على مواجهة القتال وفي العمق شرقًا حتى المضايق ، ولم تصل للجيوش صور جوية ، توضح أماكن مرابض مدفعية العدو ومدرعاته في العمق القريب .

ولم تستكمل القدرة الدفاعية عن الدولة بالكامل، خاصة منطقة البحر الأحمر وبعض المناطق الأخرى انتظارً الوصول الدعم السوفييتي ، كما أن الناحية العملية في العمليات المشتركة وهي أساس المعركة المنتظرة لم تصل إلى درجة الواقعية .

والتزمت القوات المسلحة المصرية بتوقيتات استكمال وإتقان عملياتها ، ولكن الشعور العام وحسب موقف القائد السياسي والقائد الأعلى للقوات المسلحة كان يوحي بالجنوح نحو الطريق

السلميّ بعض الشيء ، أو القيام بعمليات محدودة صغيرة ، تحقق التحدي وتغير الموقف وتفتح الطريق إلى الحل السلمي بعد تحقيق نجاح محدود . ولقد أشار الرئيس السادات يوم ١٧ مارس ١٩٧١ بأن معركتنا القادمة ١٠ ٪ عسكري والباقي سياسي .

وكان الموقف الداخلي خلال شهر مايو ١٩٧١ وما بعده يشعرنا بالاهتزاز وعدم الاطمئنان ، ووضح ذلك فعلاً في تعديلات مفاجأة تمت على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة وتغيير وزير الحربية والقائد العام ، وما سمي بثورة التصحيح ، وكانت بالطبع ذات تأثير كبير على القادة والقيادات والوحدات . ولقد صرح وزير الحربية الجديد في ٥ يوليو ١٩٧١ أنه مطلوب تقدير مصري فقط ، يوضح موقف مصر . هل نقوم بعملية واحدة على طول المواجهة ، أم عملية بكل جيش ، أم عدة عمليات صغيرة ؟ . .

وما هي تصرفات العدو المنتظرة ؟

وتصرفات أمريكا وروسيا ؟

وهل نبدأ القتال البسيط أم على مدى كبير ؟

هل في مكان محدود . . أو في كل مكان . . وهل في مصلحتنا إشعال القتال أم لا ؟

وما هي إمكانيات الضابط والجندي وما معنا من سلاح ؟

وزادت نحن القادة حيرتنا ، ونحن نقترب من نهاية عام الحسم !!

وفي أوائل عام ١٩٧٢ - الذي سمي بعام إعداد القوى - بدأت بوادر فقد الثقة بين وزير الحربية والقيادة السوفيتية وثارت إشاعات وبلبلة كثيرة ، قال عنها الفريق أول صادق وزير الحربية والقائد العام : « يقول لنا الروس لماذا لم تحاربوا عام ١٩٧١ ؟ وكان عندنا أكثر من ١٨ خطة لتحرير الوطن ، وطلبنا من الروس أقل القليل من الأسلحة والمعدات ووعدوا ولم ينفذوا !! »

وبالطبع وصلت هذه البلبلة إلى القادة الأصاغر في الوحدات ، وسمعها المستشارون السوفييت الموجودون في كل الوحدات ، وبدأ الصراع الخفي والعلني واهتزت الثقة .

وانتهى عام ١٩٧٢ بتغييرات كبيرة في القيادة العليا وقيادات القوات المسلحة ، بعد أن تم إنهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفييت في ١٧ يوليو ١٩٧٢ . . . كما انتهت بتقييم الرئيس السادات للموقف قائلاً : (يجب أن نحرك روسيا لتعطي

وأمريكا لتحل

وإلا ففي عام ١٩٧٣ ستنتهي القضية بالكامل وستنتهي الثقة في شعبنا . .)

وجاء وزير الحربية والقائد العام الجديد بقرار واضح في ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ ، يحدد توجيهات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية قائلاً :

الاقتناع لا حل سياسي ولا مفر من الحرب

ولابد من معركة لإخراج العدو

أما شكل المعركة ونوعها فيتوقف على توافق هذه المعركة مع الموقف السياسي

، وتدمير العدو أمامنا حسب قدراتنا

وإذا شعر العدو بتفوقنا قد يستسلم ويقبل الحل السياسى ،

ولكن ليس من مصلحتنا ذلك الحل السياسى ويجب أن نأخذ بالثأر

هذه السياسة أيضًا وهذه التصريحات كانت غير مقنعة لنا كقادة ، فرئيس الجمهورية يعلن استغلال الطريق السلمي إلى أقصى الحدود أو القيام بعملية صغيرة ١٠ ٪ عسكري فقط ، ثم يقول أنه يريد روسيا أن تعطي وأمريكا ، أن تحل وهنا مربط الفرس وسبب الحيرة . . .

هل سيكون تخطيطنا الجديد للحرب المحدودة ١٠ ٪ فقط ، أم ١٠ سم شرقًا فقط ، كما أمر القائد الأعلى أو تمنى . وعمومًا . . فمن وجهة النظر العسكرية السليمة لا يحقق هذا الهدف النهائي ، الذي كان يمكن أن يبني على استراتيجية واضحة بالوصول إلى خط المضايق كمرحلة أولى ثم نتوقف حتى الوقت الذي نستطيع فيه استكمال التحرير . .

وجاء عام الحرب ١٩٧٣ ، ودارت عجلة الإعداد للقتال والتدريب مع الاستكمال والتحركات إلى رباط الخيل ، التي تحقق قواعد قوية للانطلاق شرقًا . والحقيقة أنه يصعب على أي محلل عسكري مقارنة هذه الإجراءات ، مع ما سبقها من إجراءات في الجولات العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ أو ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ ؛ لأنها كلها إجراءات كانت تتم في الماضي على غير هدى أو أساس أو جدية . ولقد عشناها وعاشها معنا أجيال الشيوخ من قادتنا العظام ، الذين شعروا حقًا بقيمة الإعداد للقوة ورباط الخيل ، الذي يتم على أسس علمية سليمة ، وحسب إمكانياتنا .

واعتمدنا بعد الله سبحانه وتعالى على أنفسنا وقدرتنا الذاتية ، وعلى رجال أثبتوا فعلاً أنهم أشرف الرجال الذين قاتلوا نحو أشرف القيادات تحت أشرف الأعلام وهنا لابد أن نثبت

بعلم اليقين وبعين اليقين وبحق اليقين في مرآة التقييم هذه المعجزة الخالدة في تاريخ مصر عامة والجندي المصري خاصة ... وللعرب والعالم اجمعين ..

فقد كان القادة على جميع المستويات - وفي مختلف ظروف المعارك - أقوياء أمناء وقدوة في التخطيط والتنفيذ ، والسيطرة على المعارك وإدارة الرجال والتصرف والمبادأة والشجاعة والوفاء والتضحية ، وكانت مصر دائمًا في كل خطواتهم أولا وقبل كل شيء ..

أما نداء الحق : الله أكبر ... الله أكبر .... فزلزل الأرض تحت أقدام الأعداء ، فابتلعت في باطنها أبناء صهيون المذعورين بنداء الحق والإيمان والعقيدة الصادقة المخلصة .. وكان الجميع على علم بالعدو ... درسوا عاداته وتقاليده وأعماله وتصرفاته ، وفهموا تحركاته ومبادراته ، ونزلوا عليهم من حيث لم يحتسبوا ، فقذف الله في قلوبهم الرعب والذعر ، وبدأوا يخربون حصونهم بأيديهم وأيدي جنود الحق ..

جاءوا عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ومن أمامهم ، ومن خلفهم ، وأخرجوهم من حصونهم وأعاد الله لهم أرضهم وديارهم ، وأراضٍ اغتصبها العدو منهم بالمكر والخداع ، ولم ينسوا أبدًا النظام والطاعة وأدب الحرب عن يقين .

وزاد الله المؤمنين إيمانًا وسجدوا لله شكرًا أن نصرهم على عدوهم اللعين ... وكان ذلك حصاد الإعداد الجيد الواقعي والتدريب المستمر بعقيدة إيمانية صادقة وليس لنا إلا أن ننظر في مرآة التقييم ، ونقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة الحشر ٢]